

نحو مسلم مبدع

دعوة الإسلام إلى إجادة القراءة والكتابة

فخري محمد صالح



(هذا الكتاب)

الدعوة الإسلامية ، منذ نزلت أول آية قرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم) وهى دعوة لبناء المسلم المبدع لعمار الأرض حتى يكون جديرا بخلافة الله سبحانه - فيها .

ومستحيل على المسلم أن يكون مبدعا مالم يكن متعلما تعلما كاملا وفق قدراته العقلية ، وإلا كان كجزء فى آلة لا يدري له كيانه فى حياته الدنيا وحياته الآخرة ، والإسلام يرفض هذا تماما فالمسلم له شخصيته وعزته ، على قدر ماتعلم وعلى قدر مايتترك من أثر فى الحياة .

لذا كانت إجادة القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى يتذوق فصاحة وبلاغة اللغة العربية فيستطيع أن يتدبر القرآن الكريم ويعمل بحقائقه ، تنظيما لحياة الفرد وحياة الجماعة وحياة الدولة وحياة الأمة ولا يمكن أن نصل إلى هذه الحقائق مالم نكن نجيد اللغة العربية إجادة تامة .. ومن هنا فرضيتها على المسلم مهما كانت جنسيته ومهما كان موقعه ومهما كانت مهنته .. وإلا كان جاحدا لأعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان .. ألا وهى العقل .. وهذا هو موضوع الكتاب .

لغة القرآن الكريم

وقضية محو الأمية

أو

دعوة الإسلام

إلى

إجادة القراءة والكتابة

" جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هدفه الأول :

أن يصنع رجالا لأن يلقى مواعظ وأن يصوغ ضمائر لا أن
يدبج خطبا وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة أما الفكرة ذاتها
فقد تكفل بها القرآن الكريم وكان عمل محمد صلى الله
عليه وسلم أن يحول الفكرة الى رجال تلمسهم الأيدي ،
وتراهم العيون "

عبد الله ناصح علوان

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

٨٢ - "سورة الأنعام"



القراءة والكتابة
فريضة إسلامية
أم واجب حضارى

الإهداء:

. . إلى كل مسلم ومسلمة
مهما كانت الجنسية
ومهما كان الموضع
ومهما كانت المهنة أو الوظيفة
أهدى هذا الكتاب
حرصاً على أقوى الروابط
بين مسلمي العالم . .
اللغة العربية . . .
لغة القرآن الكريم . .

فخري محمد صالح

تقديم

بقلم فضيلة الدكتور الشيخ / محمد
نايل عميد كلية اللغة العربية
سابقا ، وعضو مجمع اللغة
العربية ، وعضو مجمع البحوث
الإسلامية .

هذا بحث قيم ومفيد ، بذل فيه الأستاذ فخرى محمد صالح جهدا مشكورا يثاب عليه ، إذ هو دعوة صادقة لكل مسلم أن يتعلم القراءة والكتابة ، ليخرج من إسمار الأمية وليتصل بالعالم من حوله ، وينمي حصيلته من الثقافة ، وخبرته في مجال ما يحترف من عمل .

وليت الأستاذ يراجع فكرته التي بنى البحث عليها ، في أن تعلم القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة وأن تعلم العربية فرض عين أيضا على المسلمين من أهل اللغات الأخرى .. فان كل الآيات والأحاديث التي ساقها لاثبات فكرته ليس فيها ما يدل على فرض العربية على غير المسلم ولا فرض القراءة والكتابة على المسلم ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة إلى اليوم بفرضية شيء من ذلك إنما انتشرت العربية في شطر من البلاد المفتوحة برغبة أهلها ، لا بفرضية فرضت عليهم وظلت كثرة منهم لاتعرف العربية ، ولم ينكر أحد عليهم ، مع وجود العلماء والحكام فيما بينهم .

نعم .. تعلم القراءة والكتابة واجب حضارى لادنى ، وتعلم العربية للمسلم أيا كانت جنسيته اكمل لدينه وأدنى إلى فهم أسرار كتابه ، وقربى الى الله ورسوله .. على أن يكون ذلك برغبة نابعة من داخله لامفروضة عليه فلو راجع الباحث بحثه في هذا الاطار كان نشره مفيدا ،

محمد نايل

(١) ارجع الى آخر الكتاب باب (اجتهاد) للرد على التقديم

مدخل

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي هادي ومعلم البشرية إلى يوم الدين .

لاشك أن اللغة تؤدي دورا خطيرا في ربط أفراد الشعب برباط قوى لاتنفصم عراه أبدا . . وكلما ازداد الشعب تمسكا بلغته قويت وحدته ، وتأصلت حضارته ، وازداد رقا واحتراما في نظر العالم ، فاذا بدأ الشعب يتخلى عن لغته تدريجيا - بأية حجة - كانت بداية التفكك ، وضعف الثقة ، والفوضى المؤدية إلى الانهيار بل الضياع النهائي ، عن طريق الذوبان في حضارات وثقافات أخرى .

ورحم الله شاعر النيل حافظ ابراهيم حين قال :

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة * وكم عز أقوام بعز لغات

فدليل عزة الشعب ، اعتزازه بلغته مهما كانت - وأمامنا تجربة واقعية في محاولة الشعب الإسرائيلي إحياء اللغة العبرية بعد اندثارها ، بل جعلوها لغة تخاطب ومعاملة - فما بالك بلغة لها قداستها ، ولها أصولها ، وقواعدها وتراثها ، ولها حضارات قامت بها ، فبهرت العالم على مدى الماضي والحاضر والمستقبل .

اللغة العربية ، اللغة الخالدة ، التي بقيت منذ ما ينيف عن عشرين قرنا ثابتة ، شامخة ، شموخ الجبال الرواسي ، حية لم تهتز في قاعدة من قواعدها ولا في أسلوب من أساليبها ، ميدان خصب معبر عن جميع أنواع المعرفة الإنسانية ، فما ضاقت وما كلت - على الرغم من محاولات الهدم والتدمير - بل كانت على المدى الطويل موضع البحث والتنقيب والدراسة ، وتذوق ألفاظها وعباراتها .

فازدادت جمالا وتألّقا ، ووفت بكل أغراض البشرية فى يسرولين .

اللغة العربية ، التى لفتت أنظار العالم من علماء وباحثين ، بل شعوب الأرض قاطبة ، تسعى إليها دراسة من حيث موسيقاها وفصاحتها وبلاغتها حتى تنسيق وجمال خطوطها . تلقى – اليوم – على يد أبنائها الهوان والذلة ، والعزوف عنها بحجج مركبات النقص والضعف والتخاذل .

ويتجلى ذلك واضحا فى :

وسائل الاعلام على اختلاف ألوانها ، وما تظهره من أخطاء شنيعة فاحشة من حيث الأداء فى النطق والأخطاء الإملائية فى الكتابة ورسم الحروف والكلمات بما لا يتفق ، مع قواعد الخط العربى ، بجانب ركافة الأساليب ، وضعف التعبير والبعد عن الذوق الجمالى فى اللفظ وفى التركيب .

العزوف التام عن استعمال الفصحى فى الأحاديث والمناقشات والمناظرات بحجة التبسيط والتسهيل . والنزول إلى مستوى لغة الشارع للطبقات الدنيا ، وهذا دليل الضعف وعدم التمكن من اللغة فإذا كانت لغة الحوار لغة أجنبية كانت محاولات الدقة فى النطق والالتزام بأصول هذه اللغة الأجنبية ، هو الساند حتى يتظاهر المتحدث بمنظر أنه العالم العلامة ، وكم ممن يרטنون بهذه اللغات أبعد عن العلم والثقافة .

وللأسف الشديد ، بعض كتابنا ومفكرينا وأدباننا وشعراننا ، الذين يتوغلون فى العامية توغلا صارخا بحجة الواقعية والوصول إلى فكر رجل الشارع ، هم فى الحقيقة دعاة للإقليمية القاتلة ، ودعاة تفكك وضعف ، الى مجتمعات مغلقة محكوم عليها بالإعدام والزوال ، أين هم من دعاة وحدة العالم العربى ، ومن دعاة وحدة العالم الاسلامى ، وهم يعملون تماما أن أول أساس تقوم عليه هذه الوحدة – على أى مستوى – هو اللغة العربية الفصحى – لغة القرآن الكريم دستور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على مدى البشرية – رباط التفاهم والتقارب والوحدة الشاملة .

وأكثر من هذا أن تنال الفصحى بالسخرية والعبارات اللاذعة للنيل منها والخط من قداساتها - للأسف - من بعض علماننا ، وحتى من بعض أساتذة الجامعات . وكان الفصحى لاحامى لها ، وكأنهم تجاهلوا ماضيها المجيد الذين تربوا على أكتافه ، وصاروا علماء بها ، بل نسوا قول الله تعالى :

" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ٩- سورة الحجر . .

حتى من يقوم بتدريس العربية لأبناننا فى أية مرحلة من مراحل التعليم ، صارت العربية وسيلة تكسب ولقمة عيش ، وماتت عندهم تنمية الانتماء اللغوى والوطنى والإسلامى .

وأكبر دليل على ذلك ما نراه فى خريجى الجامعات من ضعف صارخ فى لغتهم القومية أداء ونطقا وكتابة ، أو تعبيرا عن أفكارهم ، فإذا عبروا كان فى ركابة تشينهم وتشين أساتذتهم وكتبهم ، فإذا ماعوتبوا فى ذلك قال الأساتذة فى استهانة : " هذه بضاعتكم ردت إليكم " وهم محقون الى حدما فى هذا ولكن لايعفيهم من المسؤولية ، ومن عذاب الضمير .

التعليم الابتدائى - الأساسى - المسنول الأول - لاجدال فى هذا - فالمفروض أن يتخرج التلميذ فيه وقد أجاد القراءة والكتابة والفهم والتعبير وبهذه تفتح الحياة له . ويمسك بمفتاح العلم على اختلاف ألوانه فى بقية المراحل التعليمية . بل فى الحياة العملية نفسها - لكن معلم هذه المرحلة - للأسف الشديد - دون المستوى لدرجة أنه هو نفسه لا يجيد القراءة والكتابة والفهم والتعبير ، وقدما قيل " فاقد الشيء لا يعطيه " ورحم الله التعليم الإلزامى والتعليم الأولى حيث كان التلميذ يتخرج فيهما وقد أجاد القراءة والكتابة والفهم والتعبير ، مما جعلهم متفوقين فى بقية المراحل التى اختاروها بل أصبحوا ذوى حيثية فى حياتهم العملية ، وهذا يرجع لأن معلمى هاتين المرحلتين ، كانوا يجيدون حفظ القرآن

الكريم ويتميزون بالضمير الحى المتوج بالوازع الدينى ، لذلك أخلصوا لأبنائهم ولدينهم .

أما مصيبة عشاق المظاهر والتفاخر ، فانهم يدفعون بأبنائهم الصغار الى مدارس اللغات ، دون تفكير أو وعى . ومدارس اللغات مثال فريد لا يوجد فى دول العالم إلا فى الدول العربية ، وهو أن يتعلم الطفل لغتين فى آن واحد ، لغته القومية ولغة أجنبية ، وكثير من هذه المدارس تبدأ باللغة الأجنبية قبل اللغة القومية . . وهذا غير مقبول - بالمرّة - علميا ولا وطنيا ولا قوميا ، فلا بد للطفل أن يدرّب جهاز نطقه على الأداء والنطق الجيدين للغته القومية أولا وأن يتقنها الاتقان الذى يستطيع به التفاهم والتعبير ، ثم فى مرحلة متقدمة جدا نبدأ بطريقة مكثفة تعليم اللغة الأجنبية كما يحدث فى دول العالم .

والسبب فى ذلك أن جهاز النطق يشكل أو يعتاد - عند الطفل - على نطق معين ، فاذا تم له ذلك ونضج استطاع أن يدرّب نفسه على نطق لغة أخرى .

ولكن بالمظهرية وبإنفاق الأموال فيما لا طائل منه ، تضيع لغتنا وأبنائنا ، فالطفل لا يجيد هذه ولا تلك ، وينشأ وقد ضعف الوازع القومى فى نفسه نتيجة ضعفه فى لغته القومية - أليس هذا الاتجاه تدميراً للانتماء والقيم والمثل والوظيفة التى تغرسها اللغة العربية فى نفوس الأطفال .

ومن أخطر الظواهر المدمرة التى بدأت تتفشى هذه الأيام - بعد سيطرة الروح المادية - انتشار الأمية بين الصبية الصغار الذين يتسربون من المدارس الى الحرف والمهن جريا وراء الكسب المادى السريع ، والهروب من عناء التعليم وإنضاج العقل البشرى ، إلى العمل اليدوى الآلى - وللأسف - هذا الاتجاه يُبارك من أولياء أمورهم ، وكأن الحياة قائمة على جمع المال لإشباع حاجة الجسد فقط والتدنى إلى الحيوانية ، والبعد عن الرسالة السامية للإنسان فى هذه الحياة ، والتى خلقه الله لها .

أى تخريب وتدمير للنفس المسلمة بعد هذا ؟!

باللغة العربية الفصحى قد نصل إلى إنسانيتنا وإلى هويتنا وإلى حضارتنا
التي أضعتها بأيدينا؟

أليس باللغة العربية نحظى برحمة الله ورضاه ؟!

أليست اللغة العربية وسيلتنا إلى الله ، ووسيلتنا إلى السمو والرقى ؟!
إن لم تدركوا هذا ، فعودوا إلى كتاب الله الكريم ، وعودوا إلى تاريخ
حضارتكم الإسلامية .

وهذا الكتاب دعوة إلى إجادة القراءة والكتابة وبالتالي إجادة اللغة العربية الرباط
المقدس الحضارى بين الشعوب الإسلامية بل ومسلمى العالم قاطبة . . وبهذا
نسير بخطى أكيدة إلى محو الأمية نهائيا من خلال الدعوة الدينية .
وكفى بالدين دافعا فى الشعوب الإسلامية والعربية وفى مصر بخاصة . . بدلا من
إنفاق الملايين من الجنيهات عبثا دون جدوى لفقدان الدافع إلى تعلم القراءة
والكتابة ..

وهذا الكتاب محاولة متواضعة مبسطة لإقناع الناس بأهمية القراءة والكتابة
لتمام إيمانهم وتأصيل قيمهم ، وإثبات قيمتهم فى الحياة . . . وأن التعليم فريضة
إسلامية .

فخرى صالح .

القرآن الكريم و اللغة العربية

(وهذا كتابٌ مُصدقٌ لساناً عربياً)

القرآن الكريم واللغة العربية

القرآن الكريم :

قال تعالى : " وإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " ١٢٩ - الشعراء

هذه الآيات الكريمة ، تعريف بالقرآن الكريم ، من حيث إنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وأن جبريل عليه السلام نزل به ، وحيا على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لينذر العاصي ويبشر المطيع ، وأنه نزل بلسان عربي واضح مفهوم لا لبس فيه ولا غموض ، خصائص أربع حددت معالم القرآن الكريم ، والموقف يقتضيها تأكيداً في إيجاز شديد تمهيدا لما سوف نسوقه من قضايا حول اللغة العربية :

أولاً - القرآن الكريم ، لا شك أنه نزل من عند الله ، وأنه كلامه المحكم الحكيم قال " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " ١٠٥ - الاسراء

" أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ " ١٦ - الحديد
" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه " ٣ - آل عمران

" إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ " ١٩٦ - الأعراف

" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " ١ - الفرقان

" اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا " ٢٣ - الزمر

إذن - مهما قيل وما يقال وما سوف يقال لاقيمة له أمام حقيقة واضحة وضوح الشمس أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على قلب عبده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا - الحقيقة الثانية الراسخة على مسمع ومرأى من التاريخ البشرى ، أنه نزل بلسان عربى واضح مفهوم لالبس فيه ولا غموض ، لأنه يتعامل مع العرب خاصة ومع البشرية عامة إلى أن يشاء الله كدستور خالد يقود إلى خير الدنيا وخير الآخرة .
قال تعالى :

" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " ٤ - إبراهيم
" وهذا لسان عربى مبين " ١٠٣ - النحل
" لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " ١٩٥ - الشعراء
" وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا " ١٢ - الأحقاف
" فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا " ٩٧ - مريم
" فإنما يسرنا بلسانك لعلمهم يتذكرون " ٥٨ - الدخان

الآيات الكريمة تبين أن القرآن الكريم نزل بلغة قوم النبى - صلى الله عليه وسلم - اللغة العربية ، من أول ما نطق بها جبريل - عليه السلام - من أول آية حتى آخر آية نزلت من القرآن الكريم ، وأتشفرف بعرض بعض الآيات القرآنية ، فيها إثبات لعالمية الاسلام وبالتالى إثبات لعالمية اللغة العربية ، قال تعالى :

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ٢٨ - سبا
كلمة للناس " كما أجمع على تفسيرها المفسرون ، تعنى العربى وغير العربى ، والمؤمن وغير المؤمن فدعوة الإسلام موجهة للعالمين ودستور الإسلام القرآن الكريم ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، مما يحتم اللغة العربية على المسلم مهما كانت جنسيته ومهما كان موقعه حتى يفهم ويعى ، ويسلك السلوك الدقيق الذى عبر عنه القرآن الكريم تنظيما لحياة الفرد ، وحياة المجتمعات ، وحياة الدول ، والآيات القرآنية التالية تؤكد هذه الحقيقة ، قال تعالى : -
" تبارك الذى نزل الفرقان ليكون للعالمين نذيرا " ١ - الفرقان

١٠٧ - الأنبياء

٨٧ - ص

٤٦ - الزخرف .

٨٠ - الواقعة

٥٢ - القلم

" وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين "

" إن هو إلا ذكر للعالمين "

" فقال إني رسول رب العالمين "

" تنزيل من رب العالمين "

" وما هو إلا ذكر للعالمين "

وكلمة " العالمين " تعنى الخلق كله أو كل ما احتواه بطن الفلك من مخلوقات على اختلاف أنواعها وألوانها وأشكالها (١) .

ثالثا - والحقيقة الثالثة ، أن جبريل - عليه السلام - كان وسيلة الاتصال بين الله - سبحانه وتعالى - والرسول - صلى الله عليه وسلم - ولغة الحديث بينهما القرآن الكريم بلسان عربى مبين رفيع المستوى لانظير له ولامثيل ، قال تعالى :
" قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا "

١٠٢ - النحل

" قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله "

٩٧ - البقرة

رابعا - الحقيقة أن القرآن جاء هاديا وسلاما ورخاء وسعادة ، للبشرية فى الدنيا والآخرة ..

" إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين "

٩ - الإسراء

" إن أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "

١٠٥ - النساء

فالقرآن الكريم حقيقة إلهية ، بينة الواضوح للعالمين ، فلا جدال حول القرآن الذى ظل شامخا منذ نزل من عند الله إلى أن يشاء الله ونزل بلغة عربية ميسرة " فإنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون "

٥٨ - الدخان

أى باللغة التى يتكلم بها العرب ، فكان قمة الفصاحة ، وقمة البلاغة ومثلا أعلى

(١) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مادة " علم " .

فى سمو الأفكار والمبادئ التى تهذى الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد ، وبقي الكتاب الخالد المقدس الذى يربط المسلمين على سطح الأرض ، مهما تناءت الديار ، ومهما اختلفت الأزمان .
" وعلى تنانى المكان من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، تتفاوت المجتمعات الإسلامية وهذا القرآن مناط وحدة الأمة عقيدة وروحا وفكرا ومزاجا " (١)

ولا يزال القرآن الكريم للمسلمين وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو مفتاح الخروج من الأزمات ، فقد أعطاهم الله فى هذا القرآن بيان النصر ، وأسلوب العمل وسنن الكون والحياة وقوانين المجتمعات والأمم ، والحضارات وسقوطها ، وكشف عن أحداث التاريخ البشرى فى ضوء هذا القانون " (٢) .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن العرب بهرت أمام فصاحة القرآن وبلاغته ، وعجزوا أمامه عجزا تاما على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم وبعد شأوهم فى اللغة العربية ، كما هو واضح من أشعارهم ونثرهم ويكفى ما قاله الوليد بن المغيرة حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن الكريم : " والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام البشر ، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه "

وهذه كلمة رجل لم يؤمن ولكنه يعرف مدى العلاقة بين بلاغة القرآن وبلاغة اللغة العربية ، ويأخذ فى اعتباره كما يأخذ كل من عايش نزول القرآن وجود عدة لغات وقت التنزيل ، ومدى أهمية اختيار الله سبحانه للعربية وتشريفها على سائر اللغات (٣)

(١) القرآن والتفسير العصرى . د . بنت الشاطىء (سلسلة اقرأ) ص ١٥

(٢) عالمية الإسلام - أنور الجندى (سلسلة اقرأ) ص ١٢٤

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٢

لذا تحدى القرآن الكريم العرب فى لغتهم التى يتباهون بها فخرا .
قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات "

١٣ هود

" وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله "

٢٣ البقرة

" قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله "

٣٨ - يونس

" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "

٨٨ - الاسراء

فلما تبين للعرب أنهم عاجزون تماما أمام فصاحة وبلاغة القرآن أرباب اللغة العربية اتهموا القرآن بالشعر والكهانة والسحر والأساطير .

" إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين "

٤٣ - الحاقة

" فقال إن هذا الا سحر يؤثر " " إن هذا الا قول البشر "

١٢٥ - المدثر

" إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين "

١٥ - القلم

يقول العلامة ابن جنى فى كتابه الخصائص : ونزل القرآن بلغة العرب التى كانوا ينظمون بها شعرهم ويلقون بها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم ، ومصدق ذلك قوله تعالى : - فى سورة ابراهيم :

" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " وجاءت صفة (مبين) نعتا للسان العربى وللقرآن اثنتى عشرة مرة فى القرآن الكريم .

١٠٣ - النحل (١)

وهذا لسان عربى مبين "

وفى الحقيقة، كل ما سبق بدهيات عند المسلم وللدارس من غيرهم ولكن استعرضت ذلك فى عجالة لأبين مدى الارتباط بين القرآن الكريم واللغة العربية وأنه لا يمكن الوصول الى حقائق القرآن إلا بإتقان اللغة العربية .
وتلاوة القرآن ، وترتيلة ، ذاتيا - فرض على المسلم لأنه وسيلة عبادته وتقربه إلى الله ، كما أنه دستور الذى يعيش فى ظلاله ويسير على هدايه ..

" وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن " ٩٢ - الاسراء
" ورتل القرآن ترتيلا " ٤ - المزمز
" فاقراءوا ما تيسر من القرآن " ٢٠ - المزمز
" فاذا قرأناه فاتبع قرأه " ١٨ - القيامة
" أفلا يتدبرون القرآن " ٨٢ - النساء
" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " ٨٢ - الاسراء
" وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن " ٩٢ - الإسراء
اذن ، ليس فرضا على المسلم أن يقرأ أو يتلوه فقط بل فرضا عليه أيضا أن يتدبره ويعقله ، ولا يتم ذلك إلا بإتقان اللغة العربية إتقانا واعيا .

" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٢ - يوسف
" كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعملون " ٣ - فصلت

وهذا الارتباط بين القرآن الكريم واللغة العربية . يؤدى بنا إلى دراسة ميسرة عن ماهية اللغة العربية ؟

(١) عالمية الإسلام - أنور الجندي (سلسلة اقرأ) ص ١٠٢

اللغة العربية : -

قبيلة قريش إحدى قبائل العرب التي كانت لها السيادة على العرب في شبه الجزيرة العربية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب فيها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها :

١- السلطان الديني : فقد كانت قريش جيران البيت ، يقيمون حوله ويقومون بسدائنه ، وكان البيت مقدسا في نظر معظم القبائل العربية في الجاهلية ، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم .

٢- السلطان الاقتصادي : كانت معظم التجارة في يد القريشيين الذين كانوا يتنقلون بتجارتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية والقيام بالرحلات التجارية المنظمة من أشهرها - رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

٣- السلطان السياسي .. بفضل النفوذ الديني والاقتصادي ، ويفضل الموقع الجغرافي ، وما كانت تمتاز به من حضارة ونعيم ، تحقق لقبيلة قريش نفوذ سياسي قوى في سائر بلاد العرب في العصر الجاهلي .

٤ - سلطان اللغة : لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة ، وأغزرها مادة ، وأرقاها أسلوبا ، وأدناها إلى الكمال ، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول ، لذا تغلبت لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى . (١)

فلا غرابة إذن - في أن القرآن ، وقد جاء بلغة قريش ، كان مفهوما لدى جميع القبائل ، وكان يؤثر في العرب جميعا ببيانته وبلاغته فقد نزل بعد أن تمّ للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب ، ولا غرابة أيضا - أن جاءت آثار العصر الجاهلي . معلقاتها وشعرها وخطبها وحكمها وأمثالها مؤلفة بلغة قريش . (٢)

وعلى هذا .. فقد كان لنزول القرآن ومجيء الحديث بلغة قريش ، وهما دعامة الدين الإسلامي الذي اعتنقته معظم قبائل العرب - أعظم أثر في توحيد هذه اللغة وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة مما أدى إلى .. " تهذيب اللغة .

(١) فقه اللغة : د . علي عبد الواحد وافي - طبعة ١٩٤٤ ص ٨٤

(٢) المرجع السابق ص ٦٨

العربية وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى اللغات الآداب والعلوم فى النهاية ، نهضت لغة قریش وأصبحت لها خصائص تميزها (١) : -

١- أنها أكثر اللغات احتفاظا بالأصوات السامية ، بل زادت عنها بأصوات كثيرة منها :

التاء ، الذال ، الظاء ، الغين ، الضاد ، (٢).

٢ - أنها أوسع أخواتها جميعا وأدقها فى قواعد النحو والصرف .

٣ - أنها أوسع أخواتها ثروة فى أصول الكلمات والمفردات (٣) .

٤ - أنها لغة يغلب عليها الطابع الاشتقاقى .

ويكفى ما أردناها عن اللغة العربية فى إيجاز ، ونعود إلى قضية الارتباط بينها وبين القرآن الكريم ، حيث نقرر ثانية أن المسلم مهما كانت جنسيته ، ومهما كان موقعه مكانا أو منصبا أو حرفه ومهنة ، عليه أن يتقن العربية إتقانا حتى يدرك بها إعجاز القرآن وسمو مبادئه وحقائقه .. وأن يستوعب مراميه وأهدافه ، حتى يهتدى إلى الطريق التطبيقى السليم .

لذلك ندرك تماما خطورة العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية ، فكما أن اللغة العربية هى الوسيلة الوحيدة لفهم القرآن وإستيعاب مراميه ، كذلك كان القرآن الكريم هو الحافظ لها ويستحيل أن تقوم الترجمة مهما بلغت دقتها مقام اللغة العربية فى الوصول إلى الحقائق والأهداف وبنفس التأثير .

يقول بروكلمان : " بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أى لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية هى وحدها

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٢١

(٢) ارجع إلى كتاب اللغة العربية أداء ونطقا (للمؤلف) .

(٣) المرجع السابق ص ١٠١ .

اللسان انذى أحل لهم أن يستعملوه فى صلواتهم وبهذا اكتسبت العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى . (١)

ومن هنا كانت الدعوة الصادقة الملحة : تعلموا تعبيرات القرآن ولا تجعلوا للكلمة العربية الإسلامية مدلولاً خارجاً عما تريدون أنتم وعما هو لها بالفعل ، من هنا قول محمد إقبال - الشاعر الفيلسوف الإسلامى الأفغانى :

كنت أتلو القرآن أيام الطلب كل صباح بدون فهم فقال لى والدى كلمة ، غيرت مجرى حياتى ، قال : - يا إقبال ، اقرأ القرآن وكأنه نزل عليك . منذ ذلك الوقت كرست جهدى ووقتى لدراسة العربية حتى أفهم القرآن وكأنه نزل على .

وقد انتبه إلى هذا المعنى - المستشرق براون - حين قال :
" نحن نختلف مع المسلمين فى كوننا نعتبر كتابنا مقدساً سواء - أقرأناه فى اللغة الأصلية أم فى لغتنا الحالية ، أما المسلمون فيعتبرون القرآن كلام الله وأنه لتنزيل من رب العالمين ، وإن الله هو الذى يخاطبهم وليس النبى محمد ولذلك فإن القرآن لا يمكن ترجمته إلى لغة أخرى لأن المترجم مضطر أن يورد فى ترجمته قدراً من التفسير يستعين به على إظهار معانيه ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن المسلم سواء كان فارسياً أما تركيا أم هندياً أم أفغانياً أم من أهل الملايو ، فإنه يرتل القرآن باللغة العربية ويتلفظ بالشهادة باللغة العربية ، يضاف إلى ذلك أننا نجد الشعوب التى اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية ، ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر .

ولارىب أن واحداً من أعلام أفغانستان هو العلامة صلاح الدين السلجوقى كان صادقاً . وهو يحدث العرب فيقول : " هذا القرآن معاشر العرب - يجمعنا وإياكم بل يحفظنا وإياكم ، كما حفظ كيانكم وحمى اللغة العربية من الاندثار .. وعلينا أن نجاهد لكى يبقى القرآن .

(١) عالمية الإسلام أنور الجندى ص ١٠٤

ولغة القرآن الخيط الذهبى الذى يؤلف بين قلوبنا ديننا وثقافة كى لاتنقسم العروة
التى كنا معتصمين بها والتى جاهد فى سبيلها الآباء " (١)

كما أنه لايمكن إدراك إعجاز القرآن إلا بعد دراسة اللغة العربية دراسة
متأنية واعية . قال الإمام مالك : " لاوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب
الله إلا جعلته نكالا " (٢)

وكما قالت بنت الشاطىء الكاتبة الاسلامية القديرة : " وكل الذين عرضوا
لقضية الإعجاز ، اجمعوا على أن فقه العربية لغة وبيانها هو أداة النظر فى
الإعجاز (القرآن الكريم) .

وكما قالت - أيضا : " وما تصدى للتفسير من أصحاب المذاهب والطرق
الإسلامية إلا أرسخهم قدما فى علوم العربية والإسلام ، وأبرعهم فى تخريج
الأقوال (٣)

وقال أبو هلال العسكري : " وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم
البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة ، ولم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة
ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب (٤)

إذن ، اللغة العربية لها خصائص اللغة العالمية ، إنها لغة المسلمين جميعا
ووسيلتهم إلى التفاهم والتقارب والوصول إلى تحقيق الآمال الخاصة والآمال
العامة فى ظلال الإسلام وكتابه الكريم .

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ ، ص ١٠٨

(٢) البرهان للزر كشى ج١ ص ٢١٢ ، الإتقان للسيوطى ج١ ص ١٧٩
نكالا أى عقابا

(٣) القرآن والتفسير العصرى د . بنت الشاطىء ص ٣٤ ، ص ٣٥

(٤) كتاب الصناعتين (الشعر والنثر) لأبى هلاله الحسن العسكري طبعة بيروت ص ٩ .

وقد جاء - تدعيما لهذا - فى رسالة الأزهر ، ، كما لخصها الأستاذ الزيات عام ١٩٤٤ فى النقطة الثالثة من رسالة الأزهر :

" جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم فى الأرض لغتان ، لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر ، والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الراى فى البلاد الإسلامية بالمفاوضة أو الانتمار(عقد المؤتمرات)على أن يجعلوا تعلم العربية والتكلم بها إجباريا فى مراحل التعليم المختلفة وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين فى الأزهر ، فإن شيوع العربية بين المسلمين تمكينا لفهم الدين، وتثبيتا لمعنى الأخوة "

(١)

ويؤكد هذه الحقيقة الفيلسوف الكبير الدكتور زكى نجيب محمود " وكان الحافز الى البحث العلمى فى اللغة العربية ، تمهيد السبيل نحو أن يفهم المسلم كتاب الله حق الفهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .
هى اللغة التى تحمل ماضينا الثقافى ، وبذلك اللغة جاء القرآن الكريم ، وجاءت أحاديث الرسول عليه السلام (٢)

الخلاصة : حقائق لا تقبل الجدل .

- ١- ارتباط مقدس بين القرآن الكريم واللغة العربية
- ٢- يستحيل فهم القرآن واستيعاب مراميه إلا باتقان العربية
- ٣- تمام الإيمان فى تعلم اللغة العربية وإتقانها وأن ذلك فرض على المسلم مهما كانت جنسيته ، ومهما كان موقعه وهذا يقودنا الى أن اللغة العربية هى :
 - ١- وسيلة المناجاة بين المسلم وربّه بتلاوة القرآن الكريم .
 - ٢- وسيلة التطبيق الدقيق للدستور الإسلامى .
 - ٣- شعار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

(١) التراث والحضارة د . نعمات أحمد فؤاد كتاب الهلال ص ١٧٢ .

(٢) مقال بذور وجذور تحت عنوان " وقفة علمية هادنة " صحيفة الاهرام ١٥ / ١٢ / ١٩٨٧

٤- وسيلة التفاهم والتقارب بين الشعوب الإسلامية .

٥- وسيلة الرقى والتحضر والقوة .

المطلوب : -

على المسلم أن يجيد اللغة العربية ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا أجاد القراءة والكتابة ، فالإسلام لا يقبل الأمية ، ولا يقبل الجهل ولا يقبل التخلف والتأخر فكرامة المسلم مستمدة من تعليمه وتربيته ، وكلاهما مستمدان من كتاب الله المحكم ، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما نناقشه في الفصول التالية .

الأمية والأمية

" أمية الرسول إعجاز وليست قدوة للمسلمين "

الأمية والامى

قال تعالى :

- "الذين يتبعون الرسول النبى الامى"
"فآمنوا بالله ورسولة النبى الامى الذى يؤمن بالله"
"منهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى"
"وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم
ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل"
"هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم"
- ١٥٧ - الأعراف
١٥٨ - الأعراف
٧٨ - البقرة
٢٠ - آل عمران
٧٥ - آل عمران
٢ - الجمعة

هذه الآيات الست الكريمة التى وردت بها لفظة "الامى والاميين فى القرآن الكريم ، ومن خلال معاجم اللغة العربية ، وكتب التفاسير المباركة نتبين فى إيجاز أن :

١- الامى : الذى لا يعرف القراءة والكتابة من الذكور .
٢- الأمية : التى لا تعرف القراءة والكتابة من الإناث .
٣- الاميون : أ) تطلق على المجموعة من الذكور والإناث الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

ب) أو . . المراد بالكلمة العرب ، لأنهم أمة أمية لا يعرفون الكتابة والقراءة .

أما لماذا سمي الذى لا يعرف القراءة والكتابة أميا ؟ فقد جاء فى لسان العرب ، قال الزجاج : الامى الذى على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته أى على فطرته وطبيعته ، كما قال تعالى :

"ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى"
وكما جاء فى الحديث الشريف : قال صلى الله عليه وسلم :-
"أنا من أمة أمية لا نكتب ولا نحسب (١)"

(١) تفسير ابن كثير ص ١٦٧ طبعة (الشعب)

أى أراد صلى الله عليه وسلم . . أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب . وكما قال صلى الله عليه وسلم :-
" بعثت إلى أمة أمية " (١)

وأما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أميا إلى أمة أمية ، لحكمة بالغة أرادها الله سبحانه وتعالى - قد تعظم على الأفهام ، وقد ثبتت وتأكدت هذه الحكمة البالغة على مدى تطور البشرية وزادت الحكمة وضوحا كلما تقدم الإنسان حضارة وارتقاء بفضل الاكتشافات العلمية الجبارة في جميع مناحي الحياة .
.. وكيف يكون ذلك ؟

النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم . الوحيد بين الأنبياء جميعهم عليهم السلام ، الذى كان أميا . . ومع هذه الأمية فقد بعث إلى الناس كافة :
" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ٣٤ - سبا
" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ٢١ - الأنبياء

فقاد العرب الأميين الذين يدينون بالنظام القبلى فيه الحكم للأقوى ظلما وعتوا وطغيانا ، حياة كلها فوضى واضطراب ، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أمة إيمان وإصلاح وبناء . ثم اتجه الزحف الحضارى الإسلامى رافعا منارة السلام والحضارة والرقى وعمارة الكون فأمية الرسول صلى الله عليه وسلم إعجاز مدى الحياة وإلى أن يشاء الله والآية القرآنية الكريمة أكدت هذه الصفة فيه ، صفة الأمية ، قال تعالى : " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " ٤٨ - العنكبوت
فكيف تكون أمية الرسول إعجازا ؟

١- فى تفسير محمد رشيد رضا : " ولم ينقل أن الله بعث نبيا أما غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، فهو وصف خاص لا يشارك محمدا - صلى الله عليه وسلم فيه أحد من النبيين ، والأمية من أكبر آيات نبوته فإنه جاء بعد النبوة بأعلى العلوم النافعة ، وهى ما يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم وأعمالهم وأحكامهم ، وعمل بها فكان لها من التأثير فى العالم ما لم يكن ولن يكون لغيره

(١) لسان العرب ص ١ ط دار المعارف

من خلق الله " أ هـ (١)

٢ - جاء فى لسان العرب : " وكانت هذه الخلّة إحدى آياته المعجزة لأنه صلى الله عليه وسلم - تلا عليهم كتاب الله منظوما ، تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص - فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أنزله ، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التى باين بينه وبينهم بها ، ففى ذلك أنزل الله تعالى :

" وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " أى الذين كفروا ، ولقالوا : إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب " أ هـ (٢)

٣ - جاء فى الأحاديث المذاعة لفضيلة الشيخ محمد المتولى الشعراوى ، أن كل إنسان يتميز بأسلوب خاص به فى التعبير ، ويتساوى فى ذلك المتعلم والامى والاختلاف بينهما فى طريقة التعبير وصياغة العبارة ، ومن المستحيل أن يكون الإنسان مهما كان ذكاؤه ، ومهما كانت درجته العلمية ، أكثر من طريقة واحدة خاصة به يتميز بها فى التعبير كلاما أو كتابة ، ما عدا الرسول صلى الله عليه وسلم النبى الامى فقد كان له من أساليب التعبير أربعة ، ولكل أسلوب نظامه وموسيقاه وفصاحته وبلاغته دون أن تختلط ببعضها ، وهى :

- أ - جاء على لسان النبى الامى القرآن الكريم بأسلوب متميز لم يتغير فى حرف من أول آية إلى آخر آية نزلت منه .
- ب - أحاديث النبى الامى فى السنة النبوية الشريفة لها نمطها الخاص بها وطريقتها فى التعبير

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا ص ٢٩٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) من خلق الله " أ هـ

بحيث تختلف عن نظم القرآن الكريم تماما .

ج - الأحاديث القدسية التي تميزت باتجاه معين من حيث الغرض والتعبير والتي اختلفت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

د - حديث الرسول المتداول بينه وبين الناس في أمور المعاش والحياة اليومية .
ومستحيل أن يتأتى هذا لإنسان مهما كان موسوعي الثقافة واللغة ويصل الليل بالنهار في القراءة والكتابة والبحث المرير ولو تمتع بالذكاء الخارق . فما بالك أن تتأتى هذه القدرة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب محدود الإقامة داخل مناطق معينة في الجزيرة العربية تحت سمع وبصر الجميع ؟
- أثار القرآن الكريم على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أخطر القضايا العلمية في جميع مناحي الحياة ، حول الكون سماء وأرضا وحول الإنسان نشأة وتكوينه وخلقا وحول الحيوان والنبات والمخلوقات الدنيا ، بل أثار أدق التفاصيل حول بعضها مما أثبتته العلم وحققه بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ، ومازال العلم حاضرا ومستقبلا يكشف أسرار هذه القضايا التي أثارت على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وسلم .

هـ - النبي الأمي صلى الله عليه وسلم خلق من الفوضى نظاما وجعل البدو المتفرقين في أحناء الجبال والوديان أمة تبنى وتعمر يستمدون منه صلى الله عليه وسلم الإرشاد والتوجيه ، فيكون التنفيذ على أدق وجه بإيمان مطلق بالله سبحانه ، وبه صلى الله عليه وسلم لدرجة أنهم كانوا يتقاتلون على قطرات من ماء كانت تسقط من يديه الشريفتين أثناء وضونه ، وفي هذا يقول توماس كارليل :
(١)

" قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لايؤيه بهم فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعرفة ، وكثروا بعد قلة وعزوا

(١) عبقرية خالد - عباس محمود العقاد (طبعة مدرسية)

بعد ذلة ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وقلوبهم (١)

٦ - هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم خاطب القلوب والعقول كخبير منقطع النظر بالنفس البشرية ، وعرف الطريق الصحيح بصفاء سريره إلى إقناع البشر برسالته ، فقد جاء في كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل :
" لذلك كانت الوسيلة إلى إقناع الناس كافة برسالة محمد أوثق ماتكون اتصالا بقلوبهم وعقولهم ، فجعل القرآن ، حجته البالغة معجزة النبي الأمي إليهم ، وجعل انتصار دينه وقوة الإيمان به آيتين من طريق الدليل اليقيني والإقناع الصادق " أهـ (٢) .

مع هذه الأمية المعجزة كان النبي الأمي صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس جميعا على تعليم المسلمين القراءة والكتابة . وإجادتها إجابة تامة لتحصيل العلم الديني والدنيوي حتى يكونوا العباد الصالحين الذين يستحقون ميراث الأرض ، كما قال تعالى في سورة الأنبياء . الآية ١٠٥ : -
" أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " فكيف تكون وراثته الأرض بغير هذا ؟!

وقد جاء في تفسير محمد رشيد رضا للآية الكريمة من سورة البقرة .
" ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون "
" فإن الأمي قد يتلقى العلم عن العلماء الثققات ويعقله عنهم بدليله فيكون علمه صحيحا ، إنما العلم بالدليل ولا يسمى مثل ذلك علما إلا من لا يعرف معنى العلم .
الآية تدل على بطلان التقليد وعدم الاعتداد بإيمان صاحبه . ومن قوله في تفسير " الأماني " أي أنهم لاحظ لهم من الكتاب إلا قراءة ألفاظه من غير فهم ولا اعتبار يظهر أثرها في العمل فهو على حد " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (٥ : الجمعة) وقد ورد (التمني) بمعنى القراءة كقول الشاعر : -

تمنى كتاب الله أول ليلة .. تمنى داود الزبور على رسل

(١) أبو بكر الصديق - محمد حسين هيكل - طبعة (دار المعارف)

(٢) حياة محمد - محمد حسين هيكل - (دار المعارف)

وهذا النوع من التمنى قد برز فيه المسلمون حتى سبقوا من قبلهم من الأمم ، فقد أمسوا أكثر الأمم تلاوة لكتابهم وأقلهم فهما له واهتداء به " أه (١) وقد جاء فى كتاب الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوى : -
" ومن هذه التعاليم التى تهىء تربية المجتمع لظهور التفكير والبحث العلمى ونشر التعليم ومطاردة الأمية ، ولهذا حرص النبى صلى الله عليه وسلم على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الأمم بالأميين وهكذا أسماهم القرآن " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم " (٣ - الجمعة) والرائع هنا أن هذا النبى الأمى فى هذه الأمية ، كان أول من مجد القلم وعمل على إشاعة الكتابة ، ومحو الأمية بين أتباعه بكل سبيل ."

" والكلام مستمر للدكتور القرضاوى فى إيجاز :

١ - فإن أول آيات أنزلت عليه من ربه تضمنت التنوية بالقراءة والقلم والتعليم " اقرأ باسم ربك " (سورة العلق) وثانى سورة من القرآن العظيم " ن ، والقلم وما يسطرون ."

٢ - جعل فداء الأسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

٣ - كان الرسول يحرص على تعليم المسلمين القراءة والكتابة إلى درجة الإتقان حتى لا ينسى ويرتد إلى الأمية من جديد .

٤ - لم يمنع النبى صلى الله عليه وسلم المشركين من تعليم المسلمين القراءة والكتابة .

٥ - لم يقف حث النبى صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة عند الرجال فقط بل شمل النساء أيضا وقد علمت (الشفاء بنت عبد الله أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة " (٢) أه

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا ص ٢٩٧ - الهيئة العامة للكتاب .

(٢) كتاب الرسول والعلم - يوسف القرضاوى

الخلاصة :

أمية الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصية تفرد بها ، ويحرم على المسلم الاقتداء بها ، لمخالفتها النصوص القرآنية والسنة النبوية .

أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، دليل على : -

- ١- أن القرآن الكريم دستور المسلمين وكلام الله المحكم .
- ٢ - أن علم الرسول صلى الله عليه وسلم علم ربانى .
- ٣ - عجز العرب أمام فصاحة وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم . فى لغتهم العربية .

إذن : إجابة القراءة والكتابة مطلوبة من المسلم والمسلمة صغيرا كان أو كبيرا ، وهذا مايتضح لنا فى الفصول التالية ...

القراءة و الكتابة - لغة ومعنى

(الكتابة والقراءة صنوان متلازمان)

القراءة والكتابة لغة ومعنى

القراءة :

قرأت الكتاب قراءة وقرأنا ، وسمى كلام الله قرآنا لهذا . . والأصل فى لفظة قرأ أنها بمعنى الجمع وهى جمع الحروف بعضها إلى بعض . . وكل شىء جمعته فقد قرأته . . وسمى القرآن قرآنا لأنه جمع بين السور وبعضها وبين أوامر الله ونواهيه وقصص الأنبياء والوعد والوعيد والخلق والسلوك الى آخره .

ومن معانى القراءة الدراسة ، والتنسك والتفقه . . ويقال قرأت أى صرت قارنا ناسكا ، قرأ الكتاب قراءة وقرأنا أى تتبع كلماته نظرا ونطق بها وقرأ الآية من القرآن أى نطق بالفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارئ وقرأ قراءة أبلغه إياه . (١)

اذن . . القراءة تعنى : الجمع بين الحروف والجمع بين الكلمات لتستوى المعانى المرادة فى خيط واحد . . وأيضا التنسك والتعبد لله سبحانه . وأيضا التفقه والتفقه أى الفهم الجيد بوعى وبعمق لكلام الله فى قرآنه وفى كتاب الحياة من مظاهر الحياة الدنيوية وما وراءها من حياة أخروية .

وقد وردت مشتقات لفظة القراءة فى القرآن الكريم فى سبع عشرة آية وجاءت كلمة القرآن فى واحدة وسبعين آية . . مما يدل على حتمية القراءة فهى فهم وتعرف . وهى تعبد وتنسك . . وهى تفقه ووعى . . وقد تكون القراءة بالاستماع وقد تكون بالنقل مشافهة دون معرفة الحروف والكلمات وإن كان هذا مقبولا فى بداية الدعوة الإسلامية إلا أنه بعد ذلك غير مقبول ولا يتفق مع دعوة القرآن الكريم ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) لسان العرب ص ٣٥٦٣ (قرأ) .

فالقراءة تقوم على التعرف على الحروف والكلمات وإجادة نطقها والوعى بالمعاني التى تحتويها الألفاظ والجمل عن طريق البصر والسمع والعقل وتشير إلى بعض الآيات الكريمة السبع عشرة التى وردت فى القرآن الكريم .. قال تعالى :

- " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " ٧٥ - القيامة
- " ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به ،مؤمنين "
- ١٩٩ - الشعراء
- " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث " ١٠٦ - الاسراء
- " ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه " ٩٣ - الاسراء
- " فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك " ٩٤ - يونس
- " اقرأ باسم ربك الذى خلق " ١ - العلق
- " اقرأ وربك الأكرم " ٣ - العلق
- " علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر القرآن ٢٠ - المزمّل
- " وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقروا ما تيسر منه " ٢٠ - المزمّل
- " سنقرئك فلا تنسى " ٦ - الأعلى

التلاوة :

تلوت القرآن تلاوة أى قرأته . وتلا يتلو تلاوة يعنى قرأ قراءة ، وقوله تعالى : " الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته " أى يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله . تلا تلوا أى اتبع ، وتلا الكتاب والسنة : أى اتبع ما فيهما (١) ..

اذن . التلاوة أفادت معنى جديدا للقراءة وهى القراءة الجيدة ، من حيث الأداء والفهم والوعى بالمعانى مع تنفيذ ما دعا إليه مضمون القراءة فى إتقان

(١) لسان العرب جـ ١ ص ٤٤٤ (تلا) ط دار المعارف

وإخلاص . ومشتقات لفظ التلاوة وردت فى ثلاث وستين آية من القرآن الكريم
نتشرف ببعضها ، قال تعالى :

- " قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به " ١٦ - يونس
" قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم " ١٥١ - الأنعام
" وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه " ٩٢ - النمل
" وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا
كنا عليكم شهداء " ٦١ - يونس
" وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك " ٤٨ - العنكبوت
" تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب " ٤٤ - البقرة
" ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم " ٥٨ - آل عمران
" تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين " ٢٥٢ - البقرة
" إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا " ١٠٧ - الإسراء

بتأمل الآيات الكريمة التى اشتملت على مشتقات لفظ القراءة ومشتقات
لفظ التلاوة تجدها دعوة صريحة إلى القراءة بصرا وسمعا وعقلا ، فمن فقدوها
فقد فقد جزءا كبيرا من الإيمان بالله ورسوله والدعوة الإسلامية - إن لم يكن كل
الإيمان ، فالقراءة الجيدة الواعية أول عمود أساسى فى بناء إيمان وشخصية
الإنسان .

الترتيل :

- قال تعالى : " كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " ٣٢ - الفرقان
" أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا " ٤ - المزمل

الترتيل من :

ورتل يرتل رتلا أى استوى وانتظم وحسن تأليفه ، رتل الشئ أى نسقه ونظمه ، ورتل الكلام أى أحسن تأليفه أو جود تلاوته ، الرتل أى الطيب من كل شئ أو الحسن من الكلام (١)

الرتل أى حسن تناسق الشئ ، وكلام رتل أى مرتل حسن على تودة ، الترتيل فى القراءة أى الترسل فيها والتبين من غير بغى ، قال تعالى : " ورتل القرآن ترتيلا " قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبين والتمكين (أراد فى قراءة القرآن) .

وقال أبو اسحاق : والتبين لا يتم بأن يعجل فى القراءة ، وإنما يتم التبين بأن يبين جميع الحروف ويوفىها حقها من الإشباع .

وفى صفة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يرتل آية آية ، ترتيل القراءة الثانى فيها ، والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل (حسن التنضيد أى استواء الأسنان وبياضها وكثرة مانها) (٢)
إذن رتل القرآن ترتيلا : إذا ترسل فى تلاوته وأحسن تأليف حروفه ، وهو يترسل فى كلامه ويترتل (٣)

(١) المعجم الوسيط ج ١ (رتل) مجمع اللغة العربية .
(٢) لسان العرب ج ٣ (رتل) مجمع اللغة العربية .
(٣) أساس البلاغة للزمخشري ص ١٥٤ ط بيروت [دار لبنان]

وخلاصة ما سبق أن :

- ١- القراءة الجمع بين الحروف والجمع بين الكلمات مع الفهم الجيد وبعمل .
 - ٢- التلاوة : القراءة مع تنفيذ ما يدعو إليه مضمون القراءة .
 - ٣- الترتيل : إعطاء القراءة حقها من التأنى وبيان الحروف مع حسن إخراجها من مخارجها مع الأداء الجيد .
- فالقراءة والتلاوة والترتيل : أى القراءة الجيدة الأداء ، والسليمة النطق ، الواعية بمضمون المقروء .
- وكل هذا مطلوب من المسلم ، بنص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

الكتابة :

كتب الكتاب كتباً وكتباً وكتابةً أى خطه ، أكتبه وكتبه أى علمه الكتابة وتكتب أى تجمع ، وتكتب الجيش أى تجمع الجيش .

والكتاب أى الحكم ، ومنه " لأقضي بينكما بكتاب الله " أى بحكم الله ، والمكتب أى المعلم ، وقال اللحياني : هو المكتب الذى يعلم الكتابة ، وقال الحسن : كان الحجاج مكتباً بالطائف يعنى معلماً وقال ابن الأعرابي : الكاتب عندهم العالم ، قال تعالى : " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " (١)

إذن، الكتابة لها معان متعددة كلها توصل إلى هدف واحد فهى : الخط ، والتجميع ، والحكم ، والتعليم ، والعلم ، ولا بقاء لعلم دون كتابة ، وجاء فى إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالي : -

" قال صلى الله عليه وسلم : " قیدوا العلم بالكتاب " وشكا رجل إلى الرسول النسيان فقال صلى الله عليه وسلم : " استعمل يدك أى اكتب وجاءت لفظة الكتابة فى سبع وخمسين آية ، وجاءت لفظة الكتاب فى منتين وستين آية كريمة ، نتشرف ببعضها ، قال تعالى : -

(١) لسان العرب ص ٣٨١٧ (كتب) ط دار المعارف

" فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون "

٧٩ - البقرة

" وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وهدى "

١٤٥ - الأعراف

" ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله "

٢٨٢ - البقرة

٢٨٢ - البقرة

" وليكتب بينكم كاتب بالعدل "

١٩ - الزخرف

" ستكتب شهادتهم ويسئلون "

٣٣ - النور

" فكتبوهم إن علمتم فيهم خيرا "

١٢٩ - البقرة

" يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة "

٧١ - الاسراء

" فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون الكتاب "

١٥٧ - الأعراف

" الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل "

السطر :-

السطر أى الخط والكتابة ، وسطر يسطر إذا كتب ، سطرها أى ألفها والسطر أى الصف من كل شىء ، ويقال سطر من الكتابة (١) .

ووردت مشتقات لفظة (السطر) فى أربع عشرة آية منها :-

١- القلم

" ن " ، والقلم وما يسطرون "

٢- الطور

" والطور وكتاب مسطور فى رق منشور "

٥٨ - الاسراء

" كان ذلك فى الكتاب مسطورا "

إذن ، سطر : بمعنى خط وكتب ، وزادت بمعنى انتظار الخط فى سطور . وعلى هذا ، فالكتابة والتسطير : بمعنى الخط والتجميع فى سطور منتظمة ، وكلاهما مفروض على المسلم ، كما هو واضح من النصوص

(١) لسان العرب صـ ٢٠٠٧ (سطر) دار المعارف

وعلى هذا ، تتضح حقيقة لا جدال فيها ، أن القراءة والكتابة صنوان متلازمان يستحيل الفصل بينهما ، كما أن كليهما أساس فى تمام إيمان المسلم وشخصيته .



الخط العربى والكتابة :

الحديث عن الكتابة يشدنا إلى الحديث عن الخط العربى وأهميته حيث وصل الخط الى أسوأ حالاته اليوم . بعد أن كانت له قداسته وروعة تنسيقه ، وانسجام حروفه فى جمال أخاذ :

١- الكتابة العربية تطورت تطورا يدل على حضارة راقية تتميز بالذوق والجمال ، ومدى اهتمام الكاتب العربى بخطه .

" فالخط لسان اليد فهى التى كتبت وأبدعت وشكلت فنونه ، أما قصة الكتابة فهى قصة الحضارة نفسها ، نراها فى كل مكان ونجدها أينما أينعت المدينة ، وازدهر الرقى ، والكتابة وجدت لحاجة الإنسان إليها تطورت معه وارتفعت بارتقائه وأخذت سبيلها إلى قمته مع تقدمه العقلى والذوقى ، ولا توجد حضارة أولت فن الخط ذلك الاهتمام القيم مثل حضارة الشرق الإسلامى " (١)

٢- كما أن الكتابة اكتسبت قداسة ، وصارت وسيلة تعبير ، حينما تسابق الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى كتابة الوحي أولا بأول مع الحرص الشديد على دقة الكتابة ، وحسن الخط ووضوحه ، قال القرطبى : -

" ومن هنا التزم المسلمون بكتابة الوحي وحفظ القرآن فى الفؤاد وبواسطة الخط الذى وقع فى نفوسهم موقع الالتزام وموقع الحق ، الأمر الذى نجده فى أقوالهم (الخط الحسن يزيد الحق وضوحا) (٢)

(١) مجلة عالم الفكر يناير ١٩٨٣ ص ١٦٥

(٢) بهجة الجالس وأنس المجالس - عبد البر القرطبى ص ٣٥٧ - القاهرة ١٩٦٢ .

٣- تجويد الخط فى الكتابة يظهر المعانى ويوضح الأفكار فمهما كانت قيمة الأفكار وسموها ، يضيعها الخط الردىء وعلى هذا ارتبطت الكتابة والخط بوضوح المعانى والأفكار .

قال القلقشندى : " أما الموازنة بين الخط واللفظ ، فالأصل فى ذلك أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها من حيث أن الخط دال على اللفظ والألفاظ دالة على الأفكار .

ولا شتراك الخط واللفظ فى هذه الميزة وقع التناسب بينهما فى كثير من أحوالهما وذلك لأنهما يعبران عن المعانى ، إلا أن اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو إن كان ساكناً فإنه يفعل فعل المتحرك بإيصاله كل ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقر فى حيزه قائم فى مكانه كما أن اللفظ فيه العذب الرقيق السانغ فى الأسماع ، كذلك الخط فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور " (١)

٤ - كما أن الكتابة لغة يفهما الجميع مهما اختلفت الأصقاع ، ومهما اختلفت اللهجات ، فإذا أجيبت ووضح خطها ، كانت دعامة من دعائم الوحدة الإسلامية . فالعالم العربى على امتداده كل إقليم منه يتميز بلهجة خاصة به ، قد يتعذر على الإقليم الآخر فهمها ، مع العلم أن لغة الكل اللغة العربية .

إذن ، لغة الكتابة لغة مفهومة عند قراءتها فى أية بقعة من بقاع العالم العربى أو العالم الإسلامى .

قال الدكتور عمر فروخ : " وعلى الرغم من أن لكل صقع عربى لهجته يتكلمها أهلها ، فإن أهالى الأصقاع المختلفة يتفاهمون بلغة الكتابة إذا تحدثوا ويفهمونها إذا قرئت عليهم ولو كانوا أميين (٢)

(١) صبح الأعشى - القلقشندى ص ٥

(٢) مجلة الأدب والفن د . عمر فروخ فى مقال الثقافة العربية ج ٤

ص ٢٠ ، ٢١ السنة الاولى لندى ١٩٤٤ .

لذا توالى الاهتمام بالخط العربى فى جميع أنواعه وأشكاله حتى صار علامة بارزة من معالم الحضارة الإسلامية ، وحتى أن دولا إسلامية كتركيا كان لها السبق فى هذا المضمار ، ومن الأقوال الماثورة للمستشرق " أوغور دورمان " :-

" إن فى العالم الإسلامى مثلا سائرا يقول : نزل القرآن فى الحجاز ، وقرئ فى مصر ، وكتب فى استانبول ، والواقع أن معجزة القرآن كتحة فنية لم تنعكس على الورق إلا فى استانبول ، وكذلك الآلىء من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكتب مثل حبات اللؤلؤ إلا فى هذا البلد أيضا " (١)

أهمية اليد :

الخط العربى يبين لنا أهمية التدريب عليه منذ الصغر ، وتنمية دقة الملاحظة وتنمية الإحساس باللمسة الجمالية فى كل حركة من حركات الخط العربى ، لذا - تلعب اليد البشرية دورا خطيرا فى إجلاء الخط فى أحسن صورته ، إذا توفرت الموهبة والمران الدائم وحتى إذا لم تتوفر الموهبة فإن المران يخضع لقواعده وأصوله فتتضح المعانى وتجلو الأفكار ، كتب الأستاذ محمود حلمى :

" وإذا كان هذا التراث قد اندفع إلى الوجود عن طريق العقل والوجدان فقد سبقتهما فى ذلك (اليد) التى أبدع الله تكوينها ، وصاغ شكلها وأودع أطراف أصابعها ، سر الوجود وحقيقة الحياة ومستقبل الإنسان . وهذه اليد كالقلب والعقل ذكرها الله فى محكم كتابه فى مئة وواحدة وعشرين آية ، جاءت متفرقة فى العديد من السور القرآنية ، وتأخذ حقيقة (اليد) كما خلقه الله فيما تأخذ لتكون صانعة لاستمرار الإنسان ودوامه ومكونة لحضارته ، وممهدة لوجوده ، ومثلته لحياته على هذه الأرض كآرقى المخلوقات " (٢)

(١) كتاب الأثرak فى الفن الإسلامى ، مقال مكانة الأثرak فى الخط الإسلامى ص ٢٢ (أوغور دورمان)

(٢) الخط بين الفن والتاريخ ص ١٦٣ - مجلة عالم الفكر يناير ١٩٨٣

ورحم الله الأستاذ الإمام محمد عبده حين قال : -
" وإذا كان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من
الرسم الذى يسمع ولا يرى ، فإن الخط المجرد وسيلة اليد الشاعرة التى تسمع
وترى " (١)

الخلاصة

- القراءة تتطلب الأداء الجيد نطقاً ووعياً .
- والكتابة تتطلب الخط الحسن والواضح .
- والخط يتطلب المهارة اليدوية .
- والمسلم مطالب بها جميعاً .

(١) المصدر السابق ص ١٧٣

كرامة الإنسان

" لكرامة لإنسان مالم يجد القراءة والكتابة إجابة واعية مستنيرة "

كرامة الإنسان

خلق الله - سبحانه - الإنسان ، وجعله أفضل خلقه على الإطلاق حتى قيل وعلى الملائكة أيضا ، وذلك بما منحه من عقل وإرادة ، عقل يعقل به ما يراه وإرادة ضابطها العقل . وله الحرية المطلقة احتراما لهذه النعمة الجليلة والخطيرة نعمة العقل ، حتى لدرجة حرية الاختيار بين الإيمان والكفر . فقد قال تعالى :
" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " (الكهف - ٢٩) تأكيدا واحتراما لهذه الحرية المكلفة بالعقل ، وحيث وجد الاختيار ترتب على ذلك الحساب والجزاء .

ولشخصية الإنسان صفات عددها الكثيرون من علماء النفس وعلماء الاجتماع بال عشرات ، والقرآن الكريم حددها وبينها قبل الجميع بقرون عدة أى قبل أن تعرف العلوم الإنسانية . منها : -

١ - الخلقة والصورة والزينة :

فالله - سبحانه - اهتم بشخصية الإنسان من حيث الخلقة والصورة فى ست آيات كريمة ، منها : قال تعالى :

" الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك " ٨ الانفطار
" ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " (الأعراف)

فالخلقة والصورة جعلت الإنسان فى مرتبة خاصة فوق مخلوقاته قاطبة
" ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " ٤ - التين
وترتب على ذلك دعوة الله سبحانه وتعالى .

" يابنى آدم خذوا زينتكم " ٣١ - الأعراف

" قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق " ٣٢ - الأعراف

٢ - العقل والإرادة :

تفضل جل جلاله بمنح الإنسان العقل الذى ميزه على سائر مخلوقاته فقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى تسع وأربعين آية كريمة منها :

" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٣ - يوسف

" تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " ٤٣ - العنكبوت

" إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " ٤ - الرعد

وجاء فى إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى : قال صلى الله عليه وسلم (١) :-

" لا دين لمن لا عقل له "

" لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله "

" ما خلق الله خلقا أكرم من العقل "

" وترتب على ذلك حرية الإرادة ، والدعوة الى البحث والتأمل والاستنباط والقياس ، والعلم فى مختلف ميادينه "

٣ - العلم والإيمان والعمل :

العلم من المكونات الأساسية فى شخصية المسلم ، فلنتأمل ما جاء فى كتاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم للدكتور مصطفى عبد الواحد :

إن العلم فى نظر المسلم هو قمة الهدى التى يبلغها الإنسان وهل الإيمان إلا نوع من العلم بالله ، وتصحيح النظرة إلى الكون والحياة ، محوطا بالحقائق والدلائل ؟ ولهذا يجعله القرآن مقابلا - للكفر الذى هو جهل وضلال ..

" قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإنما يتذكر أولو الألباب "

٩١ - الزمر

إن المعركة مع الكفر هى معركة مع الجهل والخرافة ، اذ يقوم الكفر على أوهام وأكاذيب لا سند لها ولا برهان :

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ص ٧٦ (دار مصر للطباعة) .

" قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ، ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين "

٤ - الأحقاف

ومن هنا كان شقاء الجاحدين حين اتبعوا أهواءهم وقدموا أهواءهم ولم يبحثوا عن الحق ولم يتحروا الصواب .

" بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله "

٢٩ - الروم

وذلك ما يجعل المسلم حريصا على العلم معولا عليه فى بلوغ الحقيقة واستقامة الطريق " (١)

إذن .. العلم قاعدة جوهرية فى بناء شخصية المسلم ، وإقامة إيمانه بالله على أساس حق صادق بالأدلة والبراهين بجانب فرضية العلم على المسلمين جميعا ذكورا كانوا أم أناثا ، فرضية صريحة وفرضية ضمنية وإليك بعض الآيات التى أثارت أخطر وأدق القضايا العلمية المعاصرة والمستقبلية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان : قال تعالى :-

- " وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة " ٩٨ - الأنعام
- " أو لم يتفكروا فى أنفسهم " ٨ - الروم
- " فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق " ٥ - الطارق
- " ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين " ١٣ - المؤمنون
- " ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة " ١٤ - المؤمنون
- " إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه " ٦ - الإنسان
- " نحن أقرب إليه من حبل الوريد " ١٦ - ق
- " ثم لقطعنا منه الوتين " ٤٦ - الحاقة
- " فانظر الى العظام كيف ننشرها ثم تكسوها لحما " ٢٥٩ - البقرة
- " فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا " ٢٤ - عبس
- " انظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه " ٩٩ - الأنعام

(١) شخصية المسلم - د . مصطفى عبد الواحد ص - ٢٢٢

" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء "

٢٧ - ٢٨ - فاطر

" قل انظروا ماذا فى السموات والأرض "

١٠ - يونس

" قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق "

٢٠ - العنكبوت

" ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين "

١٦ - العنكبوت

" سنريهم آيتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق "

٥٢ - فصلت

وغيرها كثير من الآيات الكريمة التى تثير أدق وأخطر النظريات والقضايا العلمية والتى يستغرق بحثها مجلدات ضخمة وأزمانا ليست بالقصيرة ، ومازال المستقبل مفتوحا على مصراعيه للعلم ومتأملية وباحثيه وعلمائه ، كل هذا مسخر للإنسان الساجد لله وحده .

قال أبو حامد الغزالي : " وقد أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا تحصل إلا بالعلم جميعا ، وإن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه ولأجله ، قال تعالى : " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " والكلم الطيب يرجع الى العلم عند البحث فهو الذى يصعد ويقع الموقع والعمل كالخادم له يرفعه ويحملة ، وهذا تنبيه على علو رتبة العلم .. غير خاف ربط النجاة بالعلم والعمل وبيانه لا يمكن أن يحصى " أهـ (١) .

لذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . قال تعالى :-

١١٤ - طه

" وقل رب زدنى علما "

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ص ٢٣ (دار مصر للطباعة)

وقال صلى الله عليه وسلم :-

" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة "

(مسلم وأبو داود والترمذى)

" إن الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضا بما يصنع "

(البخارى وأبو داود والترمذى)

" خيركم من تعلم القرآن وعلمه "

(البخارى)

قالت عائشة رضى الله عنها :-

" يا رسول الله متى يعرف الإنسان ربه ، قال : إذا عرف نفسه "

(أدب الدنيا والدين للماوردنى)

٤- الحكمة والخلق والسلوك :

العلم يودى الى الحكمة ، والحكمة قوام الشخصية جاء فى كتاب الشخصية تأليف محمد عطية الابراشى : إن شخصية الإنسان لا تكون متينة إلا إذا زانتها الحكمة والعلم والحزم ، ووضع الأشياء فى مواضعها وقدرها حق قدرها ، والرجل الحكيم هو السديد الرأى البعيد النظر الحسن التقدير ، الذى يعرف الحق فيتمسك به ، ويفعل ما يجب أن يفعل ، ويترك ما ينبغى أن يترك ، ويقول ما يجب أن يقال ، يرى الفرصة فينتهزها ويشعر بالطريق المستقيم فيسلكه ، ويحس نتيجة الشيء ، قبل حدوثها ، ويعامل غيره بما يجب أن يعامل به ، ويحكم على غيره بما يود أن يحكم به عليه ، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وإذا حكم على غيره كان حكمه بعيدا عن الأهواء والأغراض وتتمثل فيه النزاهة والعدالة ، كل هذه الصفات نتيجة الحكمة وحسن التقدير ، قال جل شأنه : " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " وقال صلى الله عليه وسلم : - " الحكمة ضالة المؤمن والحكمة صفة أساسية فى تكوين الشخصية السامية ، تحمل الإنسان على العمل وفق العقل

، وهى خلاصة ، وأساس كل فضيلة بها يتدبر الإنسان عواقب الأمور ، ويميز الخير من الشر والحق من الباطل " أ هـ (١) .
فالخلق والسلوك نابعان من الحكمة ، والحكمة أساسا العلم ، وكل شخصية سوية متميزة ، لابد أن يكون أساسها علما تربت عليه .

٥- حسن البيان :

البيان أى الحجة والمنطق الفصيح ، قال تعالى - " خلق الإنسان علمه البيان " أى جعله مميزا حتى انفصل الإنسان ببيانه وتمييزه عن جميع الحيوان .
لذا - من سمات الشخصية القوية حسن البيان أى التعبير الجيد الدقيق عن كل ما يجيش بنفس الإنسان من خواطر وأفكار فى صياغة مؤثرة مقتعة وجاء فى كتاب الشخصية للأبراشى .- " كما أن من مقومات الشخصية حسن البيان عند الإنسان ، فإن البيان القدرة عن التعبير عما فى النفس ، وفصاحة اللسان وحسن النطق ، والقدرة على التأثير فى السامع ، والمتكلم من غير تهيب أو تخوف بحيث يكون الكلام حلوا رشيقا سهلا عذبا مؤثرا " أ هـ (٢)

٦- إجادة القراءة والكتابة :

الخصائص المميزة للإنسان التى أشرنا إليها سابقا يجمعها رابط واحد هو العلم - والعلم وسيلته إجادة القراءة والكتابة فمن لم يجد القراءة والكتابة فهو فى موقف لا يحسد عليه ، بل فى نقص مشين ومحل نظرات لها مغزاها غير المقبولة لأدمى أراد أن يكون إنسانا بكيانه فى مجتمع إسلامى عريض . قال تعالى :-

- " اقرأ باسم ربك الذى خلق " ١- العلق
" اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم " ٣- العلق
" فاقراءوا ما تيسر من القرآن " ٢٠- المزمل

(٢،١) الشخصية - محمد عطية الأبراشى .

٢٨٢ - البقرة

" ولا تسئموا أن تكتبوه "

٢٨٢ - البقرة

" وليكتب بينكم كاتب "

٣٣ - النور

" فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا "

اذن .. القراءة والكتابة حتمية على كل مسلم ومسلمه ليصل الى الدرجة التي يكون بها إنسانا آدميا — بعيدا كل البعد عن مرتبة الحيوان القائمة على الحياة الغرائزية فقط .

وليس المطلوب مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة ولكن إجادتها وإجادة واعية مستتيرة ، يرتبط بالحياة الواقعية ويتفاعل معها أولا بأول مع تطورات المجتمع السريعة في حدود ما أمر به القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم .

١٥١ - الأنعام

قال تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم "

٩٢ - النمل

" وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه "

١٢١ - البقرة

" الذين يتلون الكتاب يتلونه حق تلاوته "

١٢٩ - البقرة

" يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة "

قال صلى الله عليه وسلم : " رحم الله أمرا أصلح من لسانه " (١)

قال عبد الحميد الكاتب : " البيان في اللسان والبيان " (الأصابع)

٧- عزة المسلم :

إجادة القراءة وإجادة الكتابه صنوان لايمكن التفرقة بينهما ويجب الحرص عليهما إذا أراد الإنسان أن يرتفع عن المهانة والذلة في عصور التقدم العلمي الجبار ، وأن يكون عزيز النفس جديرا بالمسئولية الملقاة على عاتقه في أداء الرسالة السامية من أداء عمل ورعاية بيت وتربية أولاد وارتباط بالدين والوطن

(١) كتاب النفس الانسانية في أدب الجاحظ - سامي الكيالي (سلسلة اقرأ)

وجاء فى كتاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم للدكتور مصطفى عبد الواحد :

" يفرض الإسلام على المسلم أن يحتفظ دائما بعزة نفسه وألا يفرط فى كرامته ولا يرضى بالذنية والاستكانة ، فإن رضى بالهوان فقد انحرف عن طريق الإيمان " أهـ

قال صلى الله عليه وسلم : " من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا " (أخرجه الطبرانى)

وقال الشاعر :

إذا أنت لم تعط لنفسك حقها هوانا بها كنت على الناس أهونا

وعزة الإنسان تكمن فى أن يكون متعلما وعالما فيما تخصص من مهنة وحرفة .. وقال تعالى :

" ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر " ٧٠ - الاسراء

ولنا وقفة أمام هذه الآية الكريمة حول ما تضمنته من معان :-

١- تفسير الجلالين : " فضلنا بنى آدم بالعلم والنطق واعتدال الخلق .

٢- تفسير ابن كثير : يخبر تعالى عن تشریفه لبنى آدم وتكريمه إياهم ، فى خلقه

لهم على أحسن الهيئات وأكملها ، كما قال : : لقد خلقنا

الانسان فى أحسن تقويم " أى يمشى قائما منتصبا على رجليه

ويأكل بيديه وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه

وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا ، يفقه بذلك كله وينتفع ويفرق

بين الاشياء ويعرف خواصها ومنافعها ومضارها فى الأمور

الدينية والدينية " .

٣- تفسير الواضح لحجازى : " ولقد كرمتنا بنى آدم بالعقل والتفكير فسخرنا له كل

شئ فى الكون كالماء والهواء ، والآثير ، وكرمه بأن خلق له

كل ما في السموات والارض وكرمه في خلقه السوي وقامته المرفوعة .
وكرمه بالتكاليف وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وخاصة محمدا صلى
الله عليه وسلم " أهـ

٤- الكشف للزمخشري : قيل في تكرمة ابن آدم : كرمه بالعقل والنطق والتميز
والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتبرير أمر المعاش والميعاد ، وقيل
بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيرهم لهم .
فأساس التكريم لبنى آدم العلم أولا ولا علم بلا إجابة للقراءة والكتابة
وجاءت مشتقات (التكريم) في إحدى وخمسين آية كريمة من القرآن الكريم ،
منها :

" حاش لله ما هذا بشرا إن هذا الا ملك كريم " ٣١ - يوسف
" انه لقرآن كريم في كتاب مكنون " ٧٧ - الواقعة
" انه لقول رسول كريم " ٤٠ - الحاقة
" اقرأ وربك الأكرم " ٣ - العلق
" إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ١٣ - الحجرات
" تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " ٧٨ - الرحمن
ولو عرجنا على معاجم اللغة لتعرف على معانى الكلمة نجد : -

لسان العرب : الكريم : الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل واسم جامع لكل
ما يحمد . أكرم الرجل وكرمه : أعظمه ونزهه تكرم عن الشيء وتكأرم فلان عما
يشينه : إذا تنزه وأكرم نفسه عن الشائعات .

والكريم : الذى كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه .
قال تعالى : " إنه لقرآن كريم " أى قرآن يحمد ما فيه من الهدى والبيان
والعلم والحكمة .

"هذا الذى كرمتم على " أى فضلت .
قال صلى الله عليه وسلم : " ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق ، لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين فهو نبى ابن نبى ابن نبى رابع أربعة فى النبوة " أهـ (١)

الخلاصة :

من مميزات الشخصية القوية : الوسامة والعقل والعلم والحكمة والبيان ، فالوسامة : حينما خلق الله - سبحانه - الإنسان على هذه الصورة الجميلة الفريدة بين مخلوقاته :

" وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات " ٦٤ - غافر

فهذه الصورة لم يخلقها لحيوان - بالمعنى المتداول - بل لإنسان آدمى يعيش على الطيب من الرزق . فهداه الى كيف يحافظ ويكرم هذه الصورة كإنسان متحضر راق من حيث المحافظة على البدن والنفس والروح ، والملبس والسلوك والعلاقات الإنسانية والمعاملات ، ثم منحه العقل والعلم والحكمة والبيان ليبلغ قمة الرقى والتحضر ، وحتى يكون أهلاً لحمل الرسالة السامية والتي بها تستمر الحياة وتنتقل من أفضل الى أفضل وتتحقق فى الأرض .

" هو الذى جعلكم خلائف الأرض " ١٦٥ - الانعام

" وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض " ٥٥ - النور

فاذا ما وصل الانسان الى هذه المرتبة كل فى ميدانه ، استحق عن جدارة أن يشارك فى ميراث الأرض :-

" إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " ١٢٨ - الاعراف

" ونجعلكم أئمة ونجعلكم الوارثين " ٥ - القصص

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " ١٠٥ - الأنبياء

(١) لسان العرب مادة (كرم)

إذن :

الإنسان غير القارئ وغير الكاتب يتصف بصفة تشينه وتنقص من كرامته ، بل تنقص من إيمانه بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم فلا يستحق شرف خلافة الله في الأرض ، ولا يستحق شرف المشاركة في عمارتها .. بل تحول إلى عالم الغرائز الحيوانية ، عالم الحشرات الدنيا ، وقد يؤدي - الجهل بالقراءة والكتابة إلى الدمار والهلاك ولمن تبعه ، فلا كرامة لإنسان ما لم يجد القراءة والكتابة إجابة واعية مستنيرة .

القرأة و الكتابة

بين

فرض عين وفرض كفاية

"ملا يتم الواجب إلا به فهو واجب"

القراءة والكتابة

بين فرض العين ، وفرض الكفاية

قضية حيث لا قضية مطلقا ، القراءة والكتابة فرض عين أم فرض كفاية ؟
قضية أثارها بعض السلف الصالح ، ولكل فريق رأيه .. فريق أجاز الأمية اقتداء
بالرسول صلى الله عليه وسلم ، طالما أنه نطق بالشهادتين وعلم العلوم الشرعية
وأحكامها وأقام العبادات (١) .. وفريق رأى أن القراءة والكتابة جائزة حيث إنها
الوسيلة إلى تفقه العلوم الشرعية وتطبيقها التطبيق الصحيح الدقيق ، والوصول
إلى ، ما أراده الله سبحانه - وما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكل من الفريقين ساق الدليل على صحة رأيه . جزى الله أجدادنا من
العلماء أحسن الجزاء ورضى الله عنهم ، فقد أناروا لنا سبل الهداية والرشاد بما
قالوا وبما فسروا وبما كتبوا ، متحررين الدقة خوفا من الله .

ومع ذلك فالشواهد كلها التي ساقها الفريقان تؤكد أن القراءة والكتابة
فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أدرك أم كان كبيرا ، ولا يحول بينها
وبين تعلمها حائل مهما كان إلا إذا كانت هناك ظروف غير طبيعة ولد عليها
الشخص . بحيث لا تمكنه قدراته العقلية من التعليم . أما من أهمل تعلم القراءة
والكتابة - طالما أنه في ظروف طبيعة - فهو مسؤول أمام الله ورسوله ، مع
إجرامه في حق نفسه وحق مجتمعه ، وفقد كرامته كإنسان .

ونسوق بعض الأدلة الصريحة والضمنية على فريضة القراءة والكتابة

(١) إحياء علوم الدين - للإمام الغزالي .

١- قال تعالى فى سورة العلق :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، واقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم "

كانت تكفى هذه الآيات الكريمة على فرضية القراءة بالأمر الصريح " اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم " واقرأ وربك الأكرم " فالقراءة أول ، رابط بالله سبحانه وتعالى أى ابدأ باسم الله وتأمل وفكر فيما خلق ، واقرأ متأملاً نعمة الله عليك ظاهرة وباطنة " وربك الأكرم " ثم جعل وسيلة العلم ودوامه القلم " الذى علم بالقلم " إشارة الى حتمية الكتابة بجانب حتمية القراءة ، لصحة إسلام المؤمن ، ولنقرأ معا ماكتبه الحافظ بن كثير فى تفسيره العظمى لهذه الآية الكريمة :-

" وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة والعلم . تارة يكون فى الأذهان وتارة يكون فى اللسان ، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ، ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسمى يستلزمها من غير عكس ، فلهذا قال : - اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " وفى الأثر " قيدوا العلم بالكتابة " وفيه أيضاً : " من عمل بما علم رزقه (الله) علم ما لم يكن " أ هـ (١)

ومما يدل على أن القراءة هى الوسيلة إلى المعرفة والمعرفة هى الوسيلة إلى الإيمان ، ما كتبه الدكتور زكى نجيب محمود : " وكان أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى " اقرأ " ولعل فى ذلك ما يتضمن وجوب أن تكون المعرفة الصحيحة أساساً للإيمان الصحيح ويبقى أن نسأل معرفة لماذا ؟ فنجيب على هدى القرآن الكريم ، معرفة خلق السموات والأرض وما بينهما " (٢)

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) صحيفة الأهرام فى ٢٤/١٢/١٩٨٤م

وقال النسفى فى تفسيره : -

" الذى علم (الكتابة) بالقلم " علم الانسان مالم يعلم " فدل على كمال كرمه بانه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبهه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط وكفى (١)

وتدور كل كتب التفسير حول هذا المضمون وأن القراءة والكتابة صراحة وضمنا فرض على كل مسلم ومسلمة .

٢ - قال تعالى فى سورة القلم : " ن ، وما يسطرون "

وقال تعالى فى سورة الطور : " والطور وكتاب مسطور ، فى رق منشور " فقد أوجز الدكتور مصطفى السباعى فى كتاب " اشتراكية الإسلام ، أقوال المفسرين حول هذه الآية الكريمة ، فقال : " ومن المعلوم أن أداة ، العلم ، قلم يكتب ، ومداد يوضح ومادة يكتب عليها ، وقد أقسم الله بهذه الأدوات الثلاث فيما ذكرنا من الآيات ، أقسم بالنون وهى الدواة على ما ذهب اليه جمهور المفسرين ، وأقسم بالقلم ، وأقسم بالرق المنشور ومن أمعن النظر فى كتاب الله الكريم وجد أن الله تعالى إنما يقسم بالكثير من مخلوقاته تنويها بشأنها ولفتا لأنظار الناس إليها " أهـ

وفى كتاب إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى :

وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة وتجعل اللبنة الأولى فى بناء كل رجل عظيم أن يقرأ وأن يتعلم ، قال صلى الله عليه وسلم :-

" فضل العلم خير من فضل العبادة " .

" قليل العلم خير من كثير العبادة " " أفضل العبادات الفقه "

(١) تفسير النسفى .

" فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " . أهـ (١)

وكلنا يعلم أن جبريل عليه السلام حينما نزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

اقرأ .. فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارىء كما جاء فى سيرة ابن هشام :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فجاءنى جبريل وأنا نائم ، بنمط من ديباج (٢) فيه كتاب : فقال اقرأ قال قلت ما اقرأ ؟ ففتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ قال فقلت : ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه يعود لى بمثل ما صنع بى - فقال : " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم .. علم الانسان ما لم يعلم "

(سورة العلق من ١: ٥)

(١) إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى .
(٢) قطعة من حرير مكتوب عليها الآية الكريمة .

قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : محمد " أنت رسول الله وأنا جبريل " (١)
ومن هذا نستنبط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفي عن نفسه علمه بالقراءة حينما عرض عليه الديباج المكتوب عليه الآيات الكريمة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فهذا أول ما فهمه الرسول من دعوة جبريل عليه السلام وهذا أيضا فهمنا .
ولكن القراءة عند رسول الله تختلف عن القراءة عندنا (٢)

٣- قال تعالى في سورة الجمعة :

" هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين "

إليك ما كتبه فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري في كتاب الأثر في خدمة الإسلام في تفسير " ويعلمهم الكتاب " : —
ولابأس أن يكون المراد من (الكتاب) الكتابة ، من حيث كانت الكتابة طريقا إلى حفظ المعارف من الضياع وإلى قيد العلم من التفلت . .
وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة القرآن .

فالكتابة من هذا الجانب شيء عظيم ينبغي الاهتمام به والعناية بأمره والتوفر على تحصيله للأمة العربية التي هي بسبيل تبليغ الدعوة الإسلامية الجامعة لخيري الدنيا والآخرة إلى عبادة الله في كل زمان ومكان .

(١) السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ص ١٤٧) دار التراث العربي .
(٢) ارجع الى فصل الأمية والامى .

والناظر إلى فداء الأسرى في بدر يرى مقدار عناية الإسلام والرسول عليه السلام بالكتابة ، فقد جعل عليه السلام فداء الأسير موقوفاً على واحد من ثلاثة أشياء : مال يقدمه إلى جماعة المسلمين في المدينة ، أو عفو يتفضل به رسول الإسلام ناظراً إلى مصلحة الأمة أو تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، يقوم عليه الأسير لينال بعد ذلك تمام ، حريته .

وإذن فمن الميسور أن يكون معنى (الكتاب) في هذه الآية القرآن الكريم وأن يكون معناها (الكتابة عن طريق عموم المجاز .
فأما الحكمة فهي : عرف العرب معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ولا بد هنا من الملاحظة نظم الكتابة مع الحكمة في فعل التعليم وكأنه يشير إلى أن الكتاب والحكمة إلفان لا يفترقان " أ هـ .

كما أن الكلمة المكتوبة لها الأثر البالغ في تاريخ الحضارات البشرية ، بل هي سبب استمرارية هذه الحضارات وتنميتها على مدى الزمن .
وتطورت الكلمة المكتوبة (المخطوطة) إلى المطبوعة ، فصارت أعظم أثراً وأسرع في نمو الحضارات ورقياً ، والوصول بالعلم إلى آفاق متعددة في خطوات سريعة .

من كلمة للدكتور أحمد أبو زيد وازنا بين الكلمة المنطوقة والكلمة المطبوعة قال : " فالكلمة المنطوقة لها ذاتية ولها شخصية متميزة لأنها تعبر عن ثقافة محلية محددة بكل مقوماتها الواضحة كما تعبر عن انفعال المتكلم بتلك الثقافة المحلية ، وذلك بعكس الكلمة المطبوعة التي تكتسب طابعاً عالمياً عاماً ..
ومن هنا كانت هي مفتاح الحضارة الإنسانية والمدخل إلى هذه الحضارات لأنها هي التي تنقل إلى الإنسان القارئ خلاصة الفكر الإنساني الذي لاتحده أية حدود مكانية أو زمانية ضيقة وتفتح بالتالي أمامه آفاق الحضارة الإنسانية العميقة المتنوعة على مصاريحها . (١)

(١) مجلة الهلال (ديسمبر ١٩٨٨) مقال قوة الكلمة المكتوبة ص ١٤

٤ - جاء فى صحيح البخارى - كتاب العلم : -

قال صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه ، وإنما العلم بالتعلم " .
ولا يمكن أن يكون التعلم بلا قراءة ولا كتابة ، قال صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " وكيف يطلب إلا بالقراءة - وبالكتابة والاستماع والسؤال .

فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى : قال صلى الله عليه وسلم : " العلم خزان ومفتاحه السؤال ، فاسألوا رحمكم الله ، فإنما يؤجر فى العلم ثلاثة القائل والمستمع والآخذ " .

٥ - كتب الدكتور احمد فؤاد الأهوانى فى كتاب التربية فى الإسلام : -

" وكان الغرض من التعليم واضحا فى ذهن القابسى ، وفى ذهن من تقدموه من قبل ، منذ عصر النبى كانوا يقصدون إلى تعليم المسلمين الدين مما لا يتيسر إلا بمعرفة بعض المبادئ التى تكتسب بالتعليم .

ومن هذه المبادئ القراءة والكتابة على أنها غاية فى ذاتها يكمل بها نفسه

بل على أنها سهولة تحصيل عنصرها من عناصر الدين وهو القرآن الكريم ، ولذلك افتدى النبى عشرة من أسرى بدر بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة .
ومن هنا اتصل التعليم بالدين اتصال الوسيلة بالغرض ، وإلزام التعليم خطاب للمجتمع بأسره لا لبعض الأفراد فيه فالقابسى يريد أن يعلم أبناء الشعب جميعا ، ولأنه يريد أن ينشر الدين ولا يحرم أحدا .

والمسألة هي إلزام التعليم لا على سبيل الزينة بل على سبيل الوجوب الدينى "أهـ.
إذن .. القراءة والكتابة واجب دينى قبل ان تكون واجبا اجتماعيا
٦ - أما من حيث إن القراءة والكتابة هل هي فرض العين . أم فرض الكفاية ؟

ننقل إليكم ماكتبه فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه مشكلات فى طريق
الحياة الإسلامية عن حقيقة فرض العين وفرض الكفاية - فى تصرف قليل : -

" الفروض - كما يقول الفقهاء - قسمان :فرض عين وفرض كفاية يعنون
بفرض العين مايجب على الشخص نفسه ويسأل عنه وحده ، أما فرض الكفاية
فهو واجب على المجتمع جوب شيوع بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

وقصة فروض العين وفروض الكفاية لاتحكى بهذا الأسلوب العليل وسوء عرضها
فى مجال التربية والإعداد جعل المسلمين يتصرفون بطيش فى أمور تمس حياتهم
وبقاءهم قد تعلق رايهم أو تنكسها .

إن المجتمع الإنسانى كيان متشابك المصالح ، والناس مايستغنى بعضهم عن
البعض الآخر ، والأجهزة الإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية فى
بنيان الأمة تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتفسيية والدورية فى الجسد
البشرى ، ومن هنا فإن فروض العين والكفاية تتداخل فى الحياة العامة تداخلا
تاماً ويتوزع هذا الاهتمام الدينى عليها كلها ، فلا يدع شيئا منها .

إن فروض الكفاية تأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد
الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ،
وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع فى إتمامه .

ولنزد الأمر وضوحاً : الصلاة فرض عين لأن كل إنسان يستطيع الصلاة فما يستثنى أحد من وجوبها أما القضاء والتدريس والهندسة فهي فروض كفاية ، لأنه ليس كل إنسان يقدر أن يكون قاضياً ، أو مدرساً أو مهندساً فإذا ترشح امرؤ بمؤهلاته العلمية للقضاء ، وعينه الدولة في المنصب المعد له ، فإن قيامه بأعباء منصبه هذا أصبح فرض عين كالصلاة والصيام ومايجوز له أن يتراخى فيه أو يفرط ، وكل ذرة من استهانة أو خيانة فهي عصيان لله ، واعتداء على الدين ، ولا يقبل أبداً الاعتذار بأن ذلك وقع في فرض كفاية .

وما يقال في القضاء ، يقال في التدريس والتطبيب ، وفي كل مهنة تحتاج الأمة إليها ويرتبط قيامها بها .

والمطلوب من كل مكلف أن يؤدي العمل على خير وجه وأن يوفى بالعقد الذي التزم به مع الدولة وهي لن تضمن عليه بما يطمئنه .
وأعتقد أن ذلك بعض ما يعنيه قوله تعالى : " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون " (٨ - المؤمنون) فإن المناصب كلها أمانات مسؤولة والقيام عليها عقد مرعى الزمام " أهـ

من خلال رأى فضيلة الشيخ محمد الغزالي - السابق أن فروض الكفاية تتحول لى فروض العين أمام متطلبات الدين وحاجة المجتمع ولهؤلاء الذين يدعون أن القراءة والكتابة فرض كفاية أى لا تلزم الناس جميعاً ، اعتماداً على ماساقه الأمام أبو حامد فى كتابه (إحياء علوم الدين) حيث كتب :

" اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم ، ودليل فإذا فعل فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين (١) وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص " أهـ
مع العلم أن فضيلة الإمام أبى حامد فى نفس الكتاب فى معرض الحديث عن فرض العين وفرض الكفاية قال :

١ - الشهادتين

" وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة من الآلات ، علم كتابة الخط .. ولو تصور استقلال الحفظ مايسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا " أهـ

وخلص القول :

مما سبق نتبين أن القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أدرك أم كبيرا شيخا أم شابا حتى ولو كان بينه وبين الموت ذراع قال صلى الله عليه وسلم :

" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد "

ولو افترضنا جدلا أن القراءة والكتابة فرض كفاية فهناك قاعدة أصولية : -

" ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "

ومن الجانب الاجتماعي حينما عرف الإنسان ، قيل :

" الإنسان الحيوان الوحيد الكاتب القارئ "

فالكتابة والقراءة من طبيعة البشر ، وطبيعة خلقهم ، وإظهارا لنعمة العقل التي من الله بها على الإنسان ، كما أن النمو الحضارى الصارخ المنتشر فى المجتمعات البشرية نتيجة للتقدم العلمى الصارخ فى كل ميادين الحياة ، يقتضى على المسلمين أن يقرأوا ويكتبوا ليتعلموا العلم فى كل ميادينه وعلى اختلاف ألوانه حتى يواكبوا هذه الحضارات العلمية والتقدمية حولهم . وإلا جمدوا وتخلفوا وصاروا كأمة الأغنام وهذا مالا يقبله الدين الإسلامى مطلقا ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أقبل عليها وتعلمها .

فهل بعد ذلك مازلنا نناقش قضية القراءة والكتابة فرض عين أو فرض كفاية ؟ بينما العالم يخطو خطوات واسعة نحو غزو الفضاء ونحو مجتمع الرخاء والرفاهية ، بحجة أن السابقين من المفسرين لم يقولوا بذلك (١) إذن القراءة والكتابة واجب دينى إسلامى مدعما لها كواجب حضارى .

(١) هذه القضية نتناولها فى فصل مستقل فى آخر الكتاب

ثمار إجابة القراءة والكتابة

" رحم الله امرأً أصلح من لسانه "

" حديث شريف "

إجادة القراءة والكتابة

ليس المطلوب مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة والتعرف على الحروف والكلمات نطقا وكتابة لأداء بعض المهام اليومية التافهة في الحياة فهذا يؤدي إلى ضياعها تماما ، ويعود بالإنسان إلى أميته بل إلى شر من ذلك بل المطلوب إجادة القراءة والكتابة إجادة تامة واعية لتحقيق الرسالة السامية من حياتنا ، فالقراءة والكتابة الواعية تؤديان بنا إلى :-

١ - الإيمان الكامل :

فكمال الإيمان وتماحه موقف على مدى إجادة القراءة والكتابة ولنعد إلى الاستشهاد بما كتبه الدكتور مصطفى عبد الواحد في كتاب شخصية المسلم :

" إن المعركة مع الكفر هي معركة مع الجهل والخرافة ، وذلك مايجعل المسلم حريصا على العلم معولا عليه في بلوغ الحقيقة واستقامة الطريق والمسلم يرى في آيات الكتاب أنها أنزلت للعاملين يخرجون من أسوار الجهالة ويفتحون عقولهم لضياء المعرفة قال تعالى : " وما يعقلها إلا العالمون " (العنكبوت) وقال تعالى : " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه " (يونس) " أهـ

بل نجد الدكتور يوسف القرضاوى في كتاب التربية الإسلامية يجعل العلم سابقا على الإيمان حتى يكون إيمان اليقين ، كتب : - " والقرآن يجعل العلم سابقا على الإيمان والإخبارات وهما نتائج له أو متفرعة عنه ، قال تعالى : " ويعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم " (٥٤ الحج) أهـ .

٢ - الوصول إلى الله عز وجل :

أ - عن طريق التعبد لله بتلاوة القرآن الكريم عن وعى وفهم قال تعالى :

" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى " (١٢٤ : ١٢٦ طه)

" وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا
كنا عليكم شهودا " (٦١ يونس) .

" إن قرآن الفجر كان مشهودا " (٧٨ - الاسراء)

" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " (٨٢ - الاسراء)

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " (٢٤ - محمد)

ب - التأمل والتفكير في خلق الله مع الدراسة العلمية الدقيقة : -

قال تعالى : -

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى
الالباب " (١٩٠ - آل عمران)

" ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك " (١٩١ - آل عمران)

" خلق لكم الأرض جميعا " (٢٩ - البقرة)

" والله خلق كل دابة من ماء " (٤٥ - النور)

٣- الوصول الى الإسلام الصحيح :

بالقراءة الجيدة والفهم الواعى والكتابة الدقيقة المعبرة ، تتعرف على
إسلامك وعظمة جوهره وسمو هدفه ، ورسالته المقدسة في الحياة الدنيا من
عبادات ومعاملات وشرائع وقوانين وأخلاق وسلوك ، وبدون إجادة القراءة
والكتابة يكون الإنسان كما قال تعالى :

" قالت الأعراب آمنا لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل
الإيمان قلوبكم " (١٤ - الحجرات)

أى يصير شكليا بعيدا عن جوهره ولبه . ويكون الإنسان خطرا على إسلامه
ومجتمعه من الأمي الجاهل ، وينطبق عليه قول الله تعالى : -
" مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
أسفارا " (الجمعة)
٤ - الكرامة الانسانية :

صفة أفضنا فيها من قبل ، ومع ذلك فلا يمكن للآدمي أن يكون إنسانا متساميا
عن حياته الحيوانية الغرائزية ، إلا إذا تمتع بالكرامة أمام مجتمعه ، وأن تكون
له شخصية المسلم العزيزة والتي تعلو عن التوافه ولاشئ يذل الإنسان أمام
الناس إلا أن يظهر جاهلا بالبدهييات والعموميات فيثير السخرية والتهكم ويضع
من قدره ويأنف المجتمع الإسلامي منه ، وقد يدفعه هذا الموقف الى تقليد أعمى
يؤدى به الى الزرارية أو الهلاك .
قال صلى الله عليه وسلم : " من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره
فليس منا " أخرجه الطبرانى .
٥ - البعد عن التقليد الأعمى :

نكتفى هنا بما أورده الدكتور إبراهيم الليان فى كتاب القرآن وتجديد المجتمع :
" فى تفسير الآية ١٧١ من سورة البقرة وهى :
" ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما يسمع إلا دعاء ونداء
صم بكم عمى فهم لا يعقلون "
إن الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وأن
المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربهى
على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن لأنه ليس
القصد من الإيمان أن يذل الإنسان للخير كما يذل الحيوان بل القصد منه أن
يرتقى عقله ونفسه بالعلم والعرفان فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع
المرضى لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ويكون هذا على
بصيرة وعقل فى اعتقاده فلا يأخذ بالتسليم لأجل آبائه أجداده " أ هـ .

قال الإمام الشيخ محمد عبده " إن العقل أحد مصادر العلم والمعرفة فى الإسلام " والعقل هو القوة التفكيرية .. وكيف لقوة فكرية أن تتكون وتتفاعل مالم يكن هناك تأمل ونظر وقراءة جيدة واعية ، وقيل : " إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

٦ - استحقاق الخلافة وميراث الأرض :

الإنسان الذى يتصف بالإيمان الكامل الواعى وبالاتصال الروحى بالله والرسول وبالإسلام الصحيح وتتوفر فيه الكرامة والعزة ويتميز بالعقل والعلم والعمل لجدير بأن يكون خليفة الله فى الأرض ، وماخلق الإنسان إلا ليكون هذا مهما كان ميدان عمله . كتب الدكتور مصطفى السباعى فى كتاب إشتراكية الإسلام :-

" قال تعالى فى سورة البقرة :

" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون "

الميزة الأولى التى ينفرد بها الإنسان هى استعدادة للعلم ومن أجلها استحق الخلافة فى الأرض والسيطرة عليها واستحق أن يخضع له أكرم مخلوقات الله وهم الملائكة فأمرهم بالسجود لآدم بعد أن أظهر لهم ميزته عليهم بالعلم " أهـ

فلا خلافة لإنسان فى أى عمل بلا علم حتى ولو كان من أشراف القوم حسباً ونسباً وغنى ، ويكفى ماقاله الله تعالى :

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط "

(١٨ - آل عمران)

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "

(١١ - المجادلة)

" قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٩ - الزمر)
" إنما يخشى الله من عباده العلماء " (٢٨ - فاطر)

ويتأمل الآيات الكريمة نصل إلى ما يهدف إليه الإسلام
وجاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي : -
قال صلى الله عليه وسلم : -

" الإيمان عريان وليأسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم "
" أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد "
" يوزن يوم القامهة مداد العلماء بدم الشهداء " أ ه .

وفي أيامنا هذه هؤلاء الذين سيطروا على الأرض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا
وامتد سلطانهم إلى الكواكب السيارة وجوف السماء ماوصلوا إلى ماوصلوا إليه إلا
بالعلم والعمل معا . فلا علم بلا عمل ولا عمل بلا علم ، وكنا نحن أولى بميراث
الأرض وجوف السماء ، ولكن قصرنا عن عمد فتخلفنا وقربنا من القاع .
فالإسلام أول من فرض العلم وفرض العمل بل ربط بينهما برباط وثيق وجعل
أحدهما تطبيقا للآخر لعمارة الكون واستمرار الحياة وارتقاء البشرية وتقديم
الحضارة .

وتخلفنا يوم أن ابتعدنا عنهما وصرنا تواكليين لا نعمل إلا من أجل اشباع حاجتنا
الغرائزية فحرمنا ميراث الأرض ورع الفقر والمرض بيننا بسبب جهلنا المطبق
أو قسور ما تعلمنا .

قال تعالى :

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " (١٠٥ - الانبياء .
" أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم " (١٠٠ - الاعراف .
" أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " (١٢٨ - الاعراف .
" ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " (٥ - القصص .

"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون "

٨ : ١٠ المؤمنون

٧ - المعرفة :

بالقراءة والكتابة الجيدتين الواعيتين وبالتأمل والتفكير فى آيات الله البينات تصل إلى غزارة المعارف وترتبط بحياتك وببيئتك وبكونك :

وتستطيع أن تحمل عبء الرسالة السامية المكلف بها من قبل الله سبحانه كإنسان لك آدميتك فالإنسان مهما كانت مهنته أو صناعته يجب ان يكون موسوعيا أى يكون ملما بالمعارف العامة بجانب تخصصه فى مهنته أو صناعته .

وهذا واجب على المسلم كما جاء فى القرآن الكريم مشيرا إلى أدق وأخطر القضايا العلمية والتي تحمل أمرا ضمنيا للإمام بهذه المعارف إن لم تكن متخصصا فيها .

والآيات الكريمة تملأ كتاب الله ويضيق المجال عن ذكرها وتدور حول : —

- ١ - معرفة نشأة الكون والحياة .
- ٢ - معرفة النفس البشرية .
- ٣ - اكتشاف الكون سماء وما فيها وأرضا وما عليها .
- ٤ - الاتصال بالبيئة والتفاعل معها .
- ٥ - الحياة البشرية بكل ظروفها الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .
- ٦ - الهداية إلى سبل المعيشة الطيبة .
- ٧ - الرسالة المكلف بها آدمى مدى حياته .
- ٨ - مواصفات صلاحية الإنسان لعمارة الكون .

قال تعالى :

٢٨٢ البقرة .

" واتقوا الله ويعلمكم الله "

٨ - وسيلة رزق :

كما أن إجادة القراءة والكتابة وسيلة إلى تحقيق ما يصبو إليه الإنسان وفقا لنوعية التعليم ودرجته - فإنه وسيلة جيدة إلى إجادة الحرفة أو الصناعة والتعرف على وسائل إتقانها ورقبها فتروج المنتجات وتعود بالخير على صاحبها وعلى المجتمع .

إذن القراءة والكتابة وسيلة رزق طيبة لكل صاحب مهنة أو حرفة ، أو صناعة ، وجاء في أدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردى :
" قال مصعب بن الزبير لابنه : " تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جمالا ، وان لا يكن لك مال كان لك مالا "
" وقال على رضى الله عنه : - " قيمة كل امرىء ما يحسن " أهـ



دلائل ضرورة اجادة القراءة والكتابة :

أولا : - القراءة .. قال تعالى :

" وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث " ١٠٦ - الاسراء
" سنقرئك فلا تنسى " ٦ - الأعلى
" الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته " ١٢١ - البقرة
" ورتل القرآن ترتيلا " - الزمل
" وأن اتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه " - النمل
" إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا " - الانفال

قال صلى الله عليه وسلم :

" ليس منا من لم يتغن بالقرآن "

البخارى ومسلم

فالتلاوة - كما عرضنا من قبل .. بجانب إجادة القراءة أداء ونطقا هي العمل بالحقائق والأفكار التي دعت إليها الآيات الكريمة . وكلاهما فرض على كل مسلم ومسلمة مهما كانت الظروف المحيطة بكل من المهد إلى اللحد .
ثانيا الكتاب :

قال تعالى :

" الذي علم بالقلم
ن - والقلم وما يسطرون
والطور وكتاب مسطور في ورق منشور " ١ : ٣ - الطور .
٤ - العلق
١ - القلم
فإجادة الكتابة لها أهميتها في حياة الكون كما أن لها أهميتها في حياة الإنسان بدليل أن الله - سبحانه - أقسم بها وجعلها دليلا على غزارة علمه وأنه لا ينتهي أبدا ، فهي ليست مجرد رسم للحروف والكلمات ولكنها ثوب قشيب معبر عن المعاني والأفكار بشرط أن يتناولها الجميع في يسر واستمتاع وليس يعنى ذلك إهمال قواعد الخط والكتابة بل تجب المحافظة على أصول وقواعد الخط العربى فقد جاء فى كتاب - أدب الدنيا والدين لأبى الحسن المارودى :
" على من أراد حفظ العلم أن يعبأ بأمرين : أحدهما تقويم الحروف على أشكالها الموضوعية لها ، والثانى ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميزة لها ، ثم مازاد على هذين من تحسين الخط وملاحقة نظمه ، فإنما هو زيادة حذق بصنعتة وليس بشرط فى صحته "

قال على بن عبيدة : حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير
قال أبو العباس المبرد : رداءة الخط زمانة (آفته وعاهته) الأدب
قال عبد الحميد الكاتب : البيان فى اللسان والبنان
قال عمر بن الخطاب : " شر الكتابة المشق (مد الحروف أثناء الكتابة)
كما أن شر القراءة الهزيمة السرعة فى القراءة) "

أ هـ

وقال صلى الله عليه وسلم : " رحم الله امرأ أصلح ن لسانه .

تعليم الأولاد ومسؤولية الأباء

" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد "

حديث شريف

تعليم الأولاد ومسؤولية الآباء

تعليم الأولاد القراءة والكتابة مسؤولية خطيرة ، حيث هم اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي العريض ، وبتعليمهم إجادة القراءة والكتابة تأخذ بيدهم على طريق الفلاح في سبيل إنسان مسلم مبدع ... ومجتمع إسلامي متحضر راق يعمل بما دعا إليه الإسلام .

فالإسلام يهدف إلى سعادة الفرد وسعادة الجماعة في الدنيا والآخرة ، كما أنه يهدف إلى حضاره راقية تقوم على أسس علمية قوية وأولي خطوات العلم إجادة القراءة والكتابة .

ولنقرأ ما كتبه الإمام الغزالي : "طبيعة الإسلام تفرض على الأمة التي تعتقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين أو تهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين . إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ، ولن يجد هذا الدين مستقرا له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصينة .

قال تعالى : "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير "

(١٠ - الملك)

إن التعليم والتعلم روح الإسلام ، لا بقاء لجوهره ولا كفالة لستقبله إلا بهما ، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين : إما متعلم يطلب الرشد وإما عالم يطلب المزيد ، وليس بعد ذلك من يؤبه له .

قال صلى الله عليه وسلم :

"العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر

الناس . أ هـ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم :

"تعلموا العلم وعلموا فإن أجر العالم والمتعلم سواء "

قال تعالى :

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثي فلنحيينه حياة طيبة "

(٩٧ - النحل)

(١) إحياء علوم الدين ، سائر = بقيه

وبناء علي ذلك كانت فرضيه تعليم الأولاد القراءة والكتابة علي الأباء، وهم المسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى - والرسول صلي الله عليه وسلم عن ذلك .
وقال القابسي . كما جاء في كتاب التربية في الإسلام للدكتور الإهواني : " فإذا اشتدت مفاصل الصبي ، واستوي لسانه وتهيا للتلقيين ووعي سمعه ، أخذ في تعلم القرآن وصور له الهجاء ولقن معالم الدين " أه
وقال تعالى :

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"

٧٨ - النحل

قال تعالى " فالسمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا "

٣٦ - الاسراء

٦ - التحريم

١٥ - الأحقاف

" قوا أنفسكم وأهليكم نارا "

" واصلح لي ذريتي "

قال صلي الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " : (البخاري)
وهنا تتجلي مسؤوليه الأباء عن تعليم أولادهم ، مسؤولية ملزمة لا هرب منها مطلقا بأية حجة كانت ولنقرأ ماجاء في كتاب الحياة المثلى وكيف نحققها للكاتب محمود أحمد حماد حول موقف الإنسان أمام المسؤولية :

" هو الفرق بين نظرتين ، نظرة تلزم الفرد بعمل الواجب لتفريجه بالجزاء ، ونظرة تلزمه بعمل الواجب لأنه مسؤول ، وهو مسؤول لأنه جدير بشرف المسؤولية لا تسقط إلا عن قاصر أو سفيه أو مجنون " أه

وجاء في كتاب التربية عند العرب للكاتب محمد فوزي العنتيل :
وكان ابن سينا من أنصار الغرض الكسبي في التربية أي إذا فرغ الصبي من تعليم القرآن وحفظ أصول اللغة ، انظر بعد ذلك إلى مايراد أن تكون صناعته ، فوجهه لطريقه بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يروحها الصبي ممكنة له مواتية ، لكن مشاكل (وافق) طبعه وناسبه " أه

فكيف يتصل الأب من هذه المسؤولية الخطيرة ؟!

فالأب مهما كانت ظروفه المعيشية صعبة أو ميسرة ، مسئول تماما عن تعليم أولاده (بنين وبنات) . ولا يعتذر بفقره أو ضيق عيشته أو كثرة مشاغله ومطالب المعيشة ، فتربية وتعليم الأولاد قمة رسالته في الحياة كما أمر ودعا إليها الإسلام ، ويكفى ولي الأمر - مهما كان نوعه - أن يراقب ويتابع ولده في ترده على انمدرسة بانتظام ، وأن يكون على صلة بمعلميّه مستفسرا عن حال ولده وطالبا النصح والإرشاد ، حتى يشترك في تقويم الولد إن احتاج إلى التقويم .

أما هؤلاء الآباء الذين يرتكبون أبشع جريمة في حق الإسلام وفي حق أنفسهم وفي حق أولادهم بأن يرسلوا أولادهم صغارا لتعليم حرفة أو صنعة ، قبل إجادة القراءة والكتابة ، جريا وراء الكسب المادى السريع دون النظر إلى أى اعتبارات دينية و اجتماعية أو قومية أو إنسانية أو ، مستقبلية آباء نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، آباء يجب أن يحاسبوا حسابا عسيراً أمام القانون وأن يعاقبوا أشد العقاب لأنهم كانوا سببا في قتل إنسان قتلا مغنويا ووجهوه إلى طريق الظلام حيث الفساد والظلام وحرموه من متعة الحياة وهو في مهده .

وعلى صاحب الحرفة أو الصناعة ألا يقبل صبيا يدربه أو يشاركه في عمله دون أن يتأكد أنه أجاد القراءة والكتابة ، حتى لا يكون شريكا في هذه الجريمة النكراء ، وحتى لا يكون في قبوله للصبي الأمي مشجعا للآباء وللأولاد على هذا الاتجاه . من عادة أهل الريف المصرى إذا مازج الطفل على قدميه وبدأت ذاكرته تعي وتتذكر أن يرسلوه إلى (الشيخ) حتى ولو كان في السنة الرابعة من عمره وليبدأ في حفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب في (مكتب) القرية .. وبعد أن يشتد عوده ويقوى جسمه ، ويطمئن والده على إجادة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم أو إجادة أجزاء منه ، يوجه الصبي إلى مايتفق مع هواه ورغبة الوالدين حيث العمل في الحقل أو في حرفة أو في صناعة أو مواصلة التعليم بالمدارس إن كانت ظروفه تسمح بذلك ، وهذا ماسرى

على الأجيال السابقة ومنهم الآن رجل الأعمال ، ومالك الأرض ، والتاجر والطبيب والمهندس والمدرس والمستشار والقاضى والوزير إلى آخره من أبناء الريف الخالص والذين قدموا لوطنهم ولمجتمعهم الكثير عن رضا وسعادة ولذة .

كما أن تعليم الأولاد ثروة قومية للبلاد ، ولا نهضة لبلد دون أبنائها فإذا كانوا على حظ وافر من التعليم ارتقى الوطن اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأصبحت له هيئته بين المجتمعات الدولية ، وكم من دول تعاني مرارة التخلف والفقر والمرض بسبب هذه الأمية البشعة المنتشرة بين أبنائها .

وقد جاء فى كتاب دور التربية فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية للدكتور محمد لبيب النجى : -

" إن تربية الحضر والمستقبل يجب أن تكون تربية تعد الناس للتغيرات الاجتماعية المنظورة وغير المنظورة وتعدهم لا على أساس المهارات ولكن على أساس الشخصية والنظرية الشاملة القادرة على التكيف تكيفا سليما مع المواقف الجديدة .

وإذا كانت تربية الأولاد والشباب فى عملية الإعداد المصرى عملية هامة وصعبة فإن تربية النساء أكثر صعوبة .. وبالنسبة للجميع يجب أن تهدف التربية إلى إكسابهم المعرفة والمهارات أنواع الفهم التى تمكنهم من أن يصبحوا صانعين ماهرين للأسرة فى بيئة جديدة سريعة التغير .

وأن يستطيعوا تكوين أسرة لأطفالهم فى بيئة صحية من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية وأن يكونوا قادة أسرهم وتقدر المدرسة والمجتمع وتستخدم المنزل لمساعدة المدرسين فى عملية التربية الشاقة. لا يوجد مجتمع أقوى من مجموع أفراده المكونين ولهذا السبب فإن الهدف القومى من التربية يجب أن يكون دائما خلق نوع من الرجال والنساء يفخر بهم " أ هـ

ولذلك الذين يهملون تعليم أولادهم (بنين أو بنات) - أو يشغلونهم بما يبعدهم عن التعليم فى صغرهم بجانب أنهم يعصون الله فى فريضة فرضها ، وأنهم معاول هدم فى مجتمعهم فهم يستحقون لعنة اللاعنين فى الدنيا والآخرة ، وينطبق عليهم عقاب من يكتمون العلم عن الناس بأول وسائله وهى إجادة القراءة والكتابة ، قال تعالى :-

" إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون "

١٥٩ - البقرة

وقال صلى الله عليه وسلم :-

" من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة "

(أبو داود)

وقال القابسى :

" وكما يجب على المتعلم التعلم فكذلك يجب على العالم التعليم "

وقال صلى الله عليه وسلم :

" خيركم من تعلم القرآن وعلمه "

البخارى

وظاهرة أخرى خطيرة تستحق الدراسة من كل الجوانب والعمل على علاجها النافذ السريع قبل أن يشتت الداء ويصعب العلاج وهى ظاهرة التسريب ، حيث نجد فى بعض المدارس الابتدائية من بعض المسؤولين الذين يسمحون بتسريب الأولاد من مدارسهم بحجة الحفاظ على نتائج المدرسة ولأن فى هؤلاء الأولاد - رغم تقدمهم فى السنوات الدراسية ضعف علمى أو أنهم مازالوا على أميتهم وينسون أن الطفل يأتيهم بعقلية خام وهم الذين يشكلونه ويوجهونه فالتقصير منهم وليس من الطفل وبهذا تزداد الأمية عاما بعد عام وللأسف الشديد الميرير بين تلاميذ المدارس الصغار .

وينسى المعلم أو يتناس الله - سبحانه - ودينه وضميره ومجتمعه وما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة تفسد الوطن والاقتصاد القومى وبدلا من أن يجعل جزاءه على الله فى الأخذ بيد الطفل من ظلمات الجهل إلى هداية النور ، وأن الله سوف

يعوضه عافية وصحة وأسرة سعيدة بسبب ما بذل من جهد . يعمد إلى تسريب الطفل من المدرسة دون ذنب جناه .. ويرتاح المسؤول الراحة الشكلية بينما ضميره وراءه بسوط الأرق والقلق والعذاب ، فقد غش وزارته وأخرجها عن هدفها القومى وبدد الأموال بل غش الناس جميعا . جاء فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى : -

" أعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها والصبيان أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له "

وقد قال الله عز وجل :

" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا "

وصيانة الصبى بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعودده التمتع " ١ هـ

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : " قلب الحدث كالأرض ، الخالية ، ما ألقى فيها من شىء قبلته وإنما كان كذلك لأن الصغير أفرغ قلبا وأقل شغلا وأيسر تبذلا وأكثر تواضعا " أ - هـ

أما الكبار الذين شغلتهم الدنيا وظلوا على أميتهم حتى بلغ بهم العمر ما بلغ - غفر الله لهم إن كانوا هم السبب أو كان غيرهم . هو السبب فكونهم قد بلغوا سن التعقل وقد عرفوا منافع ومضار الشىء أصبحوا مسؤولين مسئولية كاملة عن هذا النقص المشين وعليهم علاجه مهما كان الثمن ، حيث إنهم هدموا ركنا تتضح به أركان الدين القويم فواجبهم الإسراع إلى محو أميتهم بدافع من دينهم ووصولاً إلى عزة إسلامية بين أفراد المجتمع الإنسانى مهما بلغ الإنسان من العمر :-

قال صلى الله عليه وسلم :-

" اطلبوا العلم من المهد الى اللحد " (البخارى)

" إن الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضا بما يصنع "

(البخارى وأبو داود والترمذى)

" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة "

(أبو مسلم وأبو داود والترمذى)

وجاء فى كتاب أدب الدنيا والدين للماوردى :

قال المأمون لإبراهيم المهدى : " والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل "

قال إبراهيم : ومتى يحسن بى طلب العلم ؟

قال الخليفة : ما حسنت بك الحياة .

وقيل :

" جهل الصغير معذور وعلمه محقور (عند العوام) فأما الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح لأن علو السن إذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما ، وكانت أيامه فى الجهل ماضية خالية كان الصغير أفضل منه لأن الرجاء له أكثر والأمل فيه أظهر وحسبك نقصا أن يقال فى رجل يكون الصغير المساوى له فى الجهل أفضل منه " أهـ

قال الشاعر :

وما تنفع الأيام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما وفضلا

وقال حكيم :-

" من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى فى ذل الجهل أبدا "

قال إخوان الصفا فى طلب العلم :-

إن العلم يكسب صاحبه عشر خصال محمودة :-

أولها الشرف وإن كان دنيا	والعز وإن كان مهينا
والغنى وإن كان فقيرا	والقوة وإن كان ضعيفا
والنبل وإن كان حقيرا	والقرب وإن كان بعيدا
والجود وإن كان بخيلا	والحياء وإن كان صلفا

والمهابة وإن كان وضعيا والسلامة وإن كان سفيها

لذا ..

على الكبار أن يسارعوا بأداء واجبهم نحو الصغار مهما كانت الأسباب والظروف بتعليمهم إجادة القراءة والكتابة .
وعليهم أيضا ، إذا كان ظلام الأمية مازال مخيما عليهم أن يسارعوا الى هداية العلم والمعرفة بإجادة القراءة والكتابة وبذلك تتفتح أمام الجميع أفاق السعادة فى الدنيا والآخرة .

قال الدكتور زكى نجيب محمود : " من يشعر من عمق نفسه وقلبه وعقله بأنه مادام قد خلقه الله إنسانا فعلى عاتقه تقع مسؤولية الحياة المنتجة المبدعة (١) "

ومن كل ما سبق نخلص الى أن :

- ١- الانسان مسؤول مسؤولية كاملة طالما أنه تمتع بالعقل الناضج الواعى والوجدان السليم السامى .
- ٢- هذه المسؤولية لا بد أن تكون منتجة مبدعة .
وعلى هذا :-

اول انتاج وإبداع يقوم به الانسان هو أولاده ، فعليه أن يقوم بتربيتهم وتعليمهم مهما كانت الأسباب والظروف وأن يوجههم للحياة الطبيعية التوجيه السليم ليكونوا منتجين مبدعين ، فإذا قصر فقد خان الأمانة ، وأخل بالرعاية ، وعليه وزر محاسب عليه حسابا عسيرا أمام الله والناس ، وفقد إنسانيته التى تميز بها عن الحيوان .

(١) مقال تشابه الأجزاء ووحدة الصف ، صحيفة الأهرام ١٤ / ١٠ / ٨٦

” ومن ثم جعل محمد - صلى الله عليه وسلم - هدفه الأول أن يصنع رجالا لا أن يلقي مواعظ ، وأن يصوغ ضمانا لا أن يدبج خطبا وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة ، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد صلى الله عليه وسلم - أن يحول الفكرة المجردة الى رجال تلمسهم الأيدي ، وتراهم العيون ” (١)

وأى رجال هؤلاء مالم يكونوا ملء السمع والبصر ، قوة بدنية ، وعلماء وأخلاقا حميدة وسلوكا بناء طيبا وهذا ما فرضه الإسلام على أبنائه .

فتربية الولد وتعليمه فرض على الآباء بنص القرآن والسنة - حتى يكون منتجا مبدعا فى مجتمعه الإسلامى وأن يكون صاحب رسالة سامية خيرة ، يسعى لتحقيقها ، ليسعد فى الدنيا والآخرة .

(١) تربية الأولاد فى الاسلام - عبد الله ناصح علوان ص ٨

كلمة عن :

=====

اللغة العربية

" وهذا لسان عربي مبين "

قرآن كريم

اللغة العربية

اللغة العربية ، لغة لها قداستها ، ولغة لها حضارتها ، ولغة لها فصاحتها وبلاغتها ، ولغة لها موسيقاها المميزة لغة تتميز بحسن الابانة والدقة ، وتتميز بمخاطبة العقول ، وبالإيحاء المثير للعواطف والخيال .

اللغة العربية فريضة على كل مسلم ومسلمة فى مشارق الأرض . . . ومغاربها ، مهما كانت جنسيته ومهما كانت لغته الأصلية . فالعربية الفصحى - لغة القرآن - لغة تقارب وترابط بين المسلمين فى أنحاء الكرة الأرضية ، تربط ماضيهم بحاضرهم ومستقبلهم فى لغة خالدة لها اتجاهاتها المتعددة كوسيلة وغاية فى جميع مناحى الحياة ، اجتماعية واقتصادية وسياسية وأدبية وفنية ، وكل ما اتصل بالعلوم الإنسانية ، كما أنها مجال للدراسات الصوتية واللغوية والنحوية والصرفية بجانب أنها لغة عبادة وتقرب الى الله سبحانه وتعالى فالعبادة من صلاة ودعاء وتلاوة للقرآن الكريم - مع فهم وتدبر ما يتلى كلها لاتتم إلا باللغة العربية ، ولم يجز أحد من الأئمة مطلقا أن تؤدى الصلاة بغير اللغة العربية ، والصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة وقلنا من قبل مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب " ولو توسعنا قليلا لنعيش فى رحاب آيات الله البينات لنلمس مدى فرضية اللغة العربية علينا كمسلمين :-

قال تعالى :

" وهذا لسان عربى مبين " ١٠٣ - النمل
" نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " ١٩٥ - الشعراء
" أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء " ٤٤ - فصلت
" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون " ٢ - يوسف
" وكذلك أنزلناه حكما عربيا " ٣٧ - الرعد
" وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد " ١١٣ - طه

" قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون " ٢٨ - الزمر
 " كتاب فصلت آياته قرأنا عربيا لقوم يعلمون " ٣ - فصلت
 " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا " ٧ - الشورى
 " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٣ - الزخرف
 " وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا " ١٢ - الاحقاف

فاذا تأملت هذه الآيات الكريمة محاولا أن تربط بين كلمة (عربى - عربيا) والكلمات (مبين ، هدى وشفاء ، لعلكم تعقلون - لعلمهم يتقون ، لقوم يعملون ، لينذر الذين ظلموا) لتأكد لك ما للعربية من كيان قوى عند المسلمين فى مجالات العبادة والهداية والشفاء ، والمعرفة والعلوم العقلية بكاملها إذن هى لغة خالدة ، لغة تحضر وعلم .

قال تعالى : " إنا نحن الذكر وانا له لحافظون " ٩ - الحجر
 فالذكر هو القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، نزل به جبريل عليه السلام من السماء ، بنفس اللسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 قال تعالى : " سنقرئك فلا تنسى " ٦ - الأعلى
 " لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعة وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ان علينا بيانه " ١٦ - القيامة

أى (بلسانك) كما جاء فى البخارى .
 أليست اللغة العربية فرض على كل مسلم ومسلمة مهما كانت جنسيته ومهما كانت لغته الأصلية ، وعلى أية أرض عاش ؟ ما أجمل أو ما أعظم أن يتفاهم المسلمون والمسلمات بلغة القرآن مهما نأت بهم الديار .
 قال صلى الله عليه وسلم :

" تعملوا العربية وعلموها ، فإنها لغة أهل الجنة "

وبناء عليه :

يجب أن يبدأ أولادنا تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية مع العناية التامة بالأداء الجيد والنطق الصحيح ودقة الفهم والتعبير - وتذوق الجمال فى الكلمات والعبارات - كلما تقدمت بهم الدراسة - مع العناية برسم الحروف والكلمات ، وأن يوجهوا التوجيه السليم إلى كيفية الكتابة وجمال الخط العربى ، مع تعويد هم على الحديث بلغة عربية سليمة بعيدة عن العامية - قدر الإمكان حتى يدرك بحسه أنه على طريق لغة علم وثقافة وأنه مميز بتعلمه إياها .

ويرتكب جريمة حمقاء كل من يدفع بولده لتعلم أكثر من لغة وهو صبى حدث مما يجعله يضطرب فى نطق لغته القومية ، ويضطرب أيضا فى نطق اللغة الأجنبية المصاحبة فكل لغة أداؤها الخاص بها ، كما أن لها قواعد النطق ومخارج الحروف الخاصة بها ، فلا يحسن الولد لغته القومية ولا يحسن أداء ونطق اللغة الأجنبية .

ويجوز ذلك بعد أن يجتاز الولد المرحلة الأولى من التعليم حتى يكون جهاز النطق قد اعتاد نطق لغته القومية نطقا صحيحا وقد درب على الأداء الجيد تدريبا كافيا .. وان كان فى كثير من دول العالم ، لا يتعلم الولد اللغة الثانية إلا مع بداية المرحلة الثانوية .

ومع ذلك تلقى اللغة العربية هجوما صارخا - وللأسف من أبنائها لسبب وحيد هو صعوبة قواعدها والعيب ليس فيها ولكن العيب فى طرق التدريس . والمعلم الذى يقوم بعرضها وانعدام التدريب عليها والتقصير الشائن فى استعمالها والنظرة المتعالية من البعض ، بينما العالم كله بمؤسساته العلمية يهتم بدراستها وينشئ أقساما خاصة باللغة العربية وعلومها وآدابها .

وحقيقة لا تقبل الجدل ، أن اللغة العربية لغة لها أصالتها وتاريخها وأنها لغة حضارة راقية ولا يمكن أن تخذ وتمتد هذه اللغة دون أن تعتمد على أصول وقواعد نشأت مع نشأتها ، وهذا سر عظمتها .

ودليلنا على ذلك ، أن كل ماوصل إلينا من شعر ونثر فى العصور التى سبقت الإسلام كلها تتفق مع قواعد اللغة العربية التى نتعلمها فى أيامنا هذه كما أن القرآن الكريم حينما نزل بلغة قريش - أنقى وأروع لهجات العرب - اتفق مع قواعد اللغة العربية ، دليلان من أقوى الأدلة على أن قواعد اللغة العربية لها أصالتها كأصالة اللغة العربية نفسها فإذا هوجمت هذه القواعد ، هذا يعنى الهجوم على اللغة ذاتها وبالتالي على آدابنا وتراثنا وبالتالي الهجوم على القرآن الكريم .
الكتاب المحكم الخالد المنزل من عند الله سبحانه وتعالى :-

ومن أقوال الامام عبد القاهر الجرجاني فى هذا :
" وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له ، وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم الذى تقدم وأشبه أن يكون صدا عن كتاب الله ، وعن معرفة معانيه ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه ، إذا كان قد علم الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها " (١)
ومن الكلمات الرائعة التى قيلت فى هذا الشأن أيضا ما قالته الأديبة العراقية الشاعرة الدكتورة نازك الملائكة :-

" إن قواعد النحو العربى ليست إلا صورة من القوانين المنظمة التى تخضع لها الجماعات والجماعة التى تضيع قواعد لغتها لا بد أن تضيع قواعد تفكيرها وحياتها وإن لزوم القاعدة النحوية صورة فى إحساس الأمة بالنظام ودليل على احترامها لتاريخها وثقتها بنفسها ثقة كاملة أصلية " (٢)

" كما أن اللغة العربية اكتسبت خلودا ومنعة وثباتا بالقرآن الكريم ، فهو الحصن الذى حماها وجعلها تقاوم كل ما يقابلها من أعاصير الزمن ، وعواصف السياسة ووسائلها الهدامة " (٣)

(١) دلائل الإعجاز (فى علم المعانى) الامام عبد القاهر الجرجاني ط ١٩٦٠ (صبيح)

(٢) مجلة العربى العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧

(٣) عالمية الاسلام - أنور الجندى ص ١٠٣

فالقواعد ليست من وضع الواضعين بعد العصر الإسلامى ولكن التدوين كان تسجيلاً لما هو موجود فعلاً ، فالعيب فينا وليس فى قواعد اللغة العربية ودليلان أن اللغة العربية بنحوها وصرفها ونطقها صارت لغة الشعوب الإسلامية قاطبة منذ المد الإسلامى ولكنها تقلصت عن بعض الشعوب أمام القهر الاستعمارى المعادى للإسلام .

فاذا تمسكنا بلغتنا معنى ذلك التمسك بقواعدها وأساليبها وبيانها حتى ندرك ونعى القرآن الكريم دستور المسلمين على مدى البشرية ووسيلة سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

فالمسلم ملزم بإتقان اللغة العربية إتقاناً واعياً مستتيراً مهما كانت جنسيته ومهما كلن تخصصه فى عمله ، ولا عذر مطلقاً لمسلم إذا قصر أو أهمل ، فكيف تكون مسلماً مؤمناً وأنت لا تفهم ما يقوله القرآن الكريم .

قال تعالى فى سورة طه :
" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال
كذلك أتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى "
(١٢٤ - ١٢٦)

صدق الله العظيم

فكيف تدرك مرامى الآيات وتتذوق بلاغتها مالم تجد اللغة العربية ؟

اجتهاد

.. " الكلمة الجديدة والفكرة الجديدة هي أكثر ما يخشاه الانسان "

فيادور دوستيفسكى
مجلة علم النفس يولية ١٩٨٨

تعليق ورد

أتشرف من موقع التلميذ لأستاذة فضيلة الدكتور محمد نايل بالرد على التعليق الذى ورد بخطابه الكريم كدفاع أو إيضاح لوجهة نظر فى تناول ومناقشة موضوع البحث وهو حتمية تعلم وإجادة القراءة والكتابة على المسلم حتى لا تشوب إيمانه شائبة ما . ويؤدى رسالته فى الحياة التى وجد من أجلها .

وأبدأ الرد ، بتقديم موفور الشكر ، وعظيم الاحترام ، لتقديره الجهد الذى بذل فى البحث ، وأنا واحد من أجيال تلامذته ، وهذا بعض غرسه ومهما قلت فى شخصه ، فهو تحصيل حاصل .

قلت فى البحث أن القراءة والكتابة دعوة إسلامية صحيحة ، وأن المسلم لا بد أن يكون فى أسما المراتب الإنسانية ، علما ورقيا وحضارة لذا وجه القرآن الكريم المسلم إلى التأمل والبحث ، وأثار معه أخطر القضايا العلمية والتى لم يكشف النقاب عن بعضها إلا خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، بينما الإسلام أثارها منذ ماينيف عن أربعة عشر قرنا أيام أن كانت غالبية البشرية تغط فى ظلام وجهل دامسين .

والقرآن الكريم .. نزل باللغة العربية .. والمفروض على المسلم أن يعى ويتدبر ما تتضمنته الآيات الكريمة من معانى وأفكار وأهداف ، على أن تؤخذ هذه المعانى والأفكار والأهداف ، مأخذ التطبيق العملى حتى يتحقق عمار الكون عمارا راقيا متحضرا تنعم فى ظلاله الإنسانية بالرخاء والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وبذلك يستحق الإنسان خلافة الله سبحانه فى أرضه " أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " من الصالحون ؟ الذين يعملون لأداء هذه المهمة فى ظلال من تقوى الله .

والمسلم أيا كانت جنسيته وأيا كانت لغته وأيا كان موقعه مطلوب منه أن يتلو القرآن الكريم - تلاوة المطبق لدعوة الآيات بجانب تعبد به - فالقرآن لم ينزل ليتخذ أحجية أو قراءته في كل وقت قراءة الببغاوات إنما هو دستور البشرية المنظم لمجتمعاتها في جميع المجالات على مدى الزمن للوصول الى سعادة الدارين .

لذا أكدت أن تعلم العربية فرض على المسلم مهما كانت جنسيته أو لغته أو موقعه فهو مسلم أولا وأخيرا والقرآن الكريم كتابه ، وكتابه باللغة العربية ، فكيف الوصول الى حقائق الآيات مالم يجد العربية إجابة تامة قال تعالى :-

" أفلا يتدبرون القرآن "

٨٢ - النساء

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها "

٢٤ - محمد

" أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين "

٦٨ - المؤمنون

" كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب "

٢٩ - ص

والتدبر كما جاء في معاجم اللغة مادة (دبر)

المعجم الوسيط : دبر الأمر وفيه : ساسه ونظر في عاقبته .

لسان العرب : التدبر : التفكير فيه (ص ١٣٢١) دار المعارف

مفردات القرآن (محمد حسن الحمصي) ص ٩٢ (دار الرشيد دمشق) : -

أفلا يتدبرون القرآن : يتأملون معانيه ويتبصرون مافيه .

وفي تفسير الآية الكريمة أفلا يتدبرون القرآن " اكتفى من التفاسير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ص ٢٤٠ تفسير سورة النساء ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، فماذا قال :

(.. ..) وفيه أن تدبر القرآن فرض على كل مكلف لا خاص بنفر يسمون المجتهدين يشترط فيهم شروط ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما الشرط الذي

لا بد منه ولا غنى عنه ، هو معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها ، فهي التي يجب على من دخل في الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها ومحاكاتهم في القول والكتابة حتى تصير ملكة وذوقا ، لا بمجرد النظر في قوانين النحو والبيان التي وضعت لضبطها وليس تعلم هذه اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير فقد كان الأعاجم في القرون الأولى يحذقونها (يمهرون فيها) في زمن قريب حتى يزاحموا الخلف من أهلها في بلاغتها وإنما يراه أهل هذه الأعصار (العصور) عسيرا لأنهم شغلوا عن اللغة نفسها بتلك القوانين وفلسفتها

وفيه أيضا - وجوب الاستقلال في فهم القرآن لأن التدبر لا يتم ، الا بذلك ، ويلزم ذلك بطلان التقليد ، قال الراوى : " دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال ، وعلى القول بفساد التقليد ... "

... لسنا نغنى ببطلان التقليد أن كل مسلم يمكن أن يكون كمالك والشافعى في استنباط الاحكام الاجتماعية في أبواب الفقه كلها فينبغى له ذلك ، وإنما نغنى أنه يجب على كل مسلم أن يتدبر القرآن ويهتدى به بحسب طاقته ، وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين ، فانه لاهياة للمسلم في دينه إلا بالقرآن ، ولا يوجد كتاب لإمام مجتهد ، ولا لمصنف مقلد يغنى عن تدبر كتاب الله في إشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه والرجاء في رحمته والخوف من عقابه .

أما وسر القرآن لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ، ولما ظلم واستبد حاكمهم ولما زال ملكهم وسلطانهم ولما صاروا عالة في معاشهم وأسبابها على سواهم أ هـ . (انتهى كلام تفسير المنار) .

أظن بعد ذلك .. تتأكد فرضية اللغة العربية على المسلم مهما كانت الظروف التي يعايشها ، كما اننى استشهدت بالآيات الكريمة التي تؤكد أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية .. فماذا يعنى ذلك ؟!

وهناك دليل يؤكد الاتجاه السابق أن الإسلام نزل للناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلى مدى البشرية لم يفرق بين جنس وآخر وبين أصحاب لغة وأخرى ولم ينزل بلغة العرب أى يخصصهم وحدهم بل جعل القرآن الكريم اللغة العربية لغة عالمية أبدية خالدة ..؟ فالمسلم الذى يتخلى عنها بحجة أنها ليست لغته الأصلية لم يكتمل إيمانه بعد ولم يع قلبه وعقله حقائق الإسلام كما ينبغى فإجادة اللغة العربية هى وسيلة الى فهم القرآن الكريم .

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " ١٠٧ - الأنبياء
" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ٢٨ - سبأ
" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٢ - يوسف
" وكذلك أنزلناه حكما عربيا " ٢٧ - الرعد
" قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون " ٢٨ - الزمر

ننتقل الى مناقشة نقطة ثانية من التعليق ، على الرغم من أنه أجيب عليها ضمنا خلال كلمة الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار حينما قال أستاذنا الجليل : " فان كل الآيات والآحاديث التى ساقها لاثبات فكرته ، ليس فيها ما يدل على فرضية العربية على غير المسلم ، ولا فرض القراءة والكتابة على المسلم ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة الى اليوم بفرضية شىء ومن ذلك "

أولا - لم أشرفى بحثى إلى غير المسلم من قريب أو بعيد ، فهذا ، خارج عن موضوع البحث ، فموضوع البحث المسلم حتى ولو كان غير عربى فى آية بقعة من بقاع الأرض وعلى مدى الزمن مع العلم أن البعض من غير المسلمين لهم دور كبير فى علوم العربية وأدائها وهذه قضية أخرى .

ثانيا - بالنسبة لملاحظة أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة إلى اليوم بفرضية شيء من ذلك ، فهذا حجر على عقل المسلم ودعوة إلى التبعية والتقليد دون أن يعمل عقله ويكون كمن يحمل شعار المقلدين " هكذا قال آباؤنا " وتسرع بنا الخطا إلى الجمود والتخلف لنصير أمة الأغنام بعد أن كنا ، خير الأمم ، وعلى أمل عن عقيدة راسخة - أن نعود كما كنا في أوائل العصور الإسلامية بل أقوى وأرقى في كل ميادين الحياة حتى نكون جديرين بصفة الصالحين كما قال تعالى :

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون "

وأؤكد ما أقول بهذه الكلمات التى هى نتيجة خبرات عملية وبحث وتدقيق من أصحابها : -

١- فى أهرام ١٩٨٩/٧/٤ ص ٧ فى مقال تحت عنوان (حلال العصر وحرامه) كتب الاستاذ فهمى هويدى " لقد تعلمنا من فقهاء الأصول أن للشرعية مقاصد خمسة ضرورية تتمثل فى الحفاظ على : الدين والنفس والعقل والعرض والمال . وهى مقاصد لا سبيل إلى تحقيقها فى ظل التخلف والتبعية "

٢ - فى مجلة العربى (يونية ١٩٨٩) ص ٢٢ مقال العلاقة بين طبقات المجتمع (وجهة نظر إسلامية) كتب الدكتور محمد عمارة .
" لقد أصاب الإمام الغزالي عندما حدد الضرورات - الاجتماعية التى يستحيل بدون توافرها إقامة الدين فقال :
" إن نظام الدين لا يصلح إلا بنظام الدنيا ، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن ، وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ، فلا ينتظم إلا بتحقيق هذه المهارات الضرورية إن نظام الدنيا شرط لنظام الدين " (الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٣٥)

٣ - الأهرام ١٩٧٩/٥/٢٤ فى مقال (هل نزل عبدا لأقوال الأقدمين) ص ٧ لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر :

ونظرا لأن المصالح للناس تختلف من زمن الى زمن ، ومن بيئة الى بيئة ، وأن المدار في أحكام المعاملات هو تحقيق مصالحهم وتوفيرا لأمن والاستقرار لهم... والانطلاق في الحياة بما يحقق سعادتهم كان من الضروري أن يراعى المفتى هذه المصالح في زمنه وبينته حتى يحكم على ضونها .. وكان من الخطأ الفاضح والجنائية على الدين والدنيا عدم النظر إلى المصلحة وإلى تغيرها حسب الزمان والمكان ، كما قرر العلامة ابن القيم حين قال : " إن المفتى الذي يفتى الناس بما وجدته في الكتب دون مراعاة مصالحهم في زمنهم ومكانهم وقت الفتوى جاهل وضار بالدين وبالناس ، وهو كالطبيب الذي يداوى الناس بدواء واحد دون فحص لمعرفة نوع أمراضهم وما يناسبها من دواء . ذاك يضر بالدين وذاك يضر الجسد .

٤ - الأهرام بتاريخ ١٩٨٩/٧/٥ مقال تحت عنوان (هل في مصر مستقبل ؟) .
للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل " وأول المحاذير هو الغرق في حديث " المنقول " .. لسهولة وتجنب حديث " المعقول " رغم أهميته في ، وقت نحتاج فيه الى دخول ميادين الاجتهاد قبل دخول ميادين الجهاد - على الأقل لنعرف طبائع حروبنا ومعاركنا ، وأطرافها وأهدافها "

٥ - مجلة العربي (يولية ١٩٨٨) مقال (منهج التجديد في الفكر الاسلامي) ص ١٩ للدكتور محمد فاروق نبهان " قابلية النصوص التشريعية للفهم المتجدد ، هذا مبدأ لاخلاف فيه فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة تقبلان التفسير والتأويل ، وليس من حق أى جيل أن يختص بهذا التفسير والتأويل مدعيا في ذلك حقا خاصا ، يمارسه دون غيره ، فالأجيال المتلاحقة سواء في حقها المشروع في التفسير والرأى ، والخطاب الشرعى متجدد في كل عصر ، وهو خطاب لكل مكلف ومن حق المكلف أن يقرأ الخطاب فاذا توفرت فيه القدرة على الفهم والتفسير والتأويل فهو مكلف به ، ولا عذر له في تقليد يحاكي به عوام الناس ممن تنقصهم الكفاءة والقدرة .

ضرورة مواكبة الفكر الإسلامى لحاجات الإنسان ، وذلك لأن الفكر غايته الإنسان ولا يجوز لهذا الفكر أن يكون معزولا عن قضايا ذلك الإنسان ، فإن رضى لنفسه العزلة فقد حكم على نفسه بالجمود والتراجع والفكر الإسلامى يملك كل قابليات النماء

ولا يمكن لأحد أن ينكر أهمية الاجتهاد فى تاريخ الفكر الاسلامى وفى تكوين أهل المدارس الفكرية التى أغنت الفكر الاسلامى بتراث خالد كما أن .. ادعاء الورع فى أمر الاجتهاد لا يعتبر مبررا للتهرب من المسؤولية فى إبداء رأى والتعبير عن موقف الاسلام . أهـ

كان يمكن الاسترسال والاتيان بالدلائل والأمثلة التى تثبت حقى فى الاجتهاد ، مستنبطا من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فرضية تعلم اللغة العربية وإجادة القراءة والكتابة على المسلم (١)

ولا أقصد بالفرضية الجد والإكراه ولكنها فرضية الإسلام النابعة من الايمان ليس الاتجاه الى محو أمية الغالبية ضرورة ملزمة اجتماعيا وحضاريا وتنفق الأموال الطائلة بالملايين من أجل كرامة الإنسان أن يكون متعلما راقيا فى فكره وفى سلوكه .

هذه هى دعوة الاسلام من أربعة عشر قرنا ، دعوة إلى النور ، دعوة الى الهدى ، دعوة الى تعلم العربية تعلما جيدا حتى نفهم ونعى كتاب الله المنزل (القرآن الكريم) ، لنسعد فى الدارين دنيا وآخرة ، دعوة الى تقارب وتفاهم الشعوب الإسلامية قاطبة .

فإجادة القراءة والكتابة واجب دينى إسلامى ، والواجب الإسلامى هو الواجب الحضارى والمسلم مكلف بها ، حتى يكمل دينه ، ويتم إيمانه ويعى متطلبات الحياة .

(١) ارجع الى البحث (دعوة الاسلام إلى أجادة القراءة والكتابة)

كلمة أخيرة

=====

يذهب الى الحج فى كل عام ما يقرب من مليونين من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، تختلف ألوانهم وجنسايتهم وثقافتهم ، ولغاتهم ويربطهم الإسلام برباط مقدس متين ، على هدف واحد " لا اله الا الله محمد رسول الله " ويتجهون من أية بقعة فى الأرض الى بيت الله الحرام الكعبة ويتراصون حول الكعبة وفى رحابها ولكن ولكن لا يستطيعون التفاهم معا ، أو التقارب فى الأفكار ، والغريب فى الأمر أن كتابا واحدا بين أيديهم يتعبدون ، ويسترشدون بآياته فى نظام حياتهم ، ألا وهو القرآن الكريم .

فلو أننا تعلمنا لغة القرآن الكريم ، تعلمنا جيدا ، أداء ونطقا ، وفهما ووعيا ، ودرنا على ذلك من صغرنا ، فى لغة عربية فصيحة بعيدة عن التعقد والتشدد ، فى أسلوب سهل ميسر ، فصارت الفصحى لغة الحديث والتخاطب بيننا فى الشارع والأسواق والمدارس ، قد يكون الأمر غريبا فى أوله وقد يدعو دعاة المجتمعات المغلقة إلى السخرية واستهجان الأمر .. لكن لو تسلح الانسان بسلاح الدين ، وسلاح الوطنية وسلاح الأمة ، لتخيل مدى الأثر البالغ — لو حرص المسلمون على لغة القرآن فى مشارق الأرض ومغاربها لهذا الاتجاه ، فى حياة الفرد والجماعة والأمة الاسلامية ولك كمسلم أن تفخر أنك سوف تجد من تحادثه وتتفاهم معه باللغة العربية فى أية بقعة من بقاع الأرض فيها مسلمون .

كان الانجليز يفخرون بأنك اذا أنزلت بأية دولة تجد من تحادثه باللغة الانجليزية .. حقا .. لأنها كانت فى أول الأمر لغة الغاصب المستعمر الذى بطش وقهر الشعوب المسالمة بقوة السلاح ، وفرضها قهرا ولكن اللغة العربية لغة مناجاة العبد لربه فى لحظات الصفاء الروحى ، لغة لها قداستها ، ويكفى أنك تتلو القرآن بهذه اللغة التى نزل بها ، ولم يتناوله تغيير أو تحريف حتى فى حرف واحد إلى أن يشاء الله .

وما زالت اللغة العربية صرحا شامخا ، ووعاء صلبا ، ومعبرا أدق التعبير ،
فى سلاسة ويسر ورشاقة ومتانة وقوة ، عن جميع أنواع المعرفة على اختلاف
ميادينها الحسية والنفسية والروحية والمادية .

وان أردت اليقين فارجع لدراسة تاريخ الحضارة الاسلامية منذ نشأتها فترى
العجب العجاب على الرغم من قول الحاقدين والناقمين فى الداخل أو الخارج .

أمنية يجب أن تتحقق بنص القرآن الكريم والسنة هى أن يتفاهم مسلمو
العالم بلغة واحدة لغة القرآن الكريم .. فيصبح العالم الاسلامى القوة البناءة لعمار
الأرض ونشر السلام فى ربوعها ..
يا مسلمى العالم .. أجيّدوا لغة دينكم تسلموا ، وتحققوا المعجزات .

دعوة الكتاب

ولم أرفى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام
" المتنبى "

دعوة الكتاب

- ١- إجادة القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أو كبيرا مهما كان المكان والجنس واللغة الأصلية ، والتخصص فى الحياه العلمية والعملية .
- ٢- الأبوان مسؤولان مسئولية كاملة أمام الله والإسلام عن أمية أبنائهم وتربيتهم مهما كانت الظروف المعيشية أو البينية .
- ٣- المدرسة بهيئتها وكبار المسؤولين عن التربية والتعليم مسؤولون أمام الله والناس والوطن عن انفلات تلميذ من مدارس المرحلة الأولى دون أن يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية .
- ٤- معلم المرحلة الأولى حسابه عند الله عسير ، إذا أهمل أو قصر فى تعليم تلاميذه القراءة والكتابة ، وسوف يدفع الثمن من أثمن شىء لديه فى دنياه ثم الحساب أمام الله فى الآخرة .
- ٥- على كل صاحب مهنة أو حرفة أو صناعة ألا يقبل صبيا فى العمل مالم يكن مجيدا للقراءة والكتابة باللغة العربية ، وحتى لا يكون شريكا فى إفساد مسلم وسحب الصلاحية منه للحياة الراقية . وعلى الوزارات المعنية التشديد على ذلك - على الأقل أن يكون التلميذ قد اتم المرحلة الأولى وأتمها بنجاح حقيقى .
- ٦- تسريب الأولاد من مدرسة المرحلة الأولى بحجة عدم قدرتهم على القراءة والكتابة والحفاظ على نتائج المدرسة - جريمة شنعاء فى حق الدين

والمجتمع الإنسانى والوطن .. بل يجب على مثل هؤلاء أن يعاملوا معاملة خاصة تتفق مع ظروفهم الاجتماعية مالم يكن متخلفا عقليا فالمدارس الخاصة بهم منتشرة ومفتوحة الأبواب للجميع بلا استثناء .

٧- أن يشجع الصغار والكبار على التطلع إلى الحياة الأدمية الإنسانية عن طريق القراءة الدائمة فى جميع الميادين بجانب ميدان تخصصه حتى يرفع مستوى معيشته ومن مستوى مهنته أو صناعته يتتبع أحدث التطورات ولعل هذا يهديه الى فكرة أجدى من المستورد .

٨ - القراءة والكتابة تربط الإنسان بمجتمعه وبوطنه وبالعالم الإنسانى كما أنه عامل أساس فى تنمية الانتماء للوطن .

٩- مهما بلغ الانسان من العمر لا بد أن يكون مجيدا للقراءة والكتابة مهما كانت مشاغلة وظروفه المعيشية وأن يتحایل بكل الطرق من أجل إجادة القراءة والكتابة ، فالشخص الأمى يكون قد خرج بمحض إرادته من آدميته وإنسانيته ، فالعقل نعمة لا تقدر بثمن فمن عطله ومنع منافذ الحياة الراقية فقد أساء إلى نفسه وإلى إنسانيته واتهم فى إيمانه بدينه فلا عذر لأمى حتى ولو بلغ من العمر أرذلة ويكون قد أساء إلى نعمة أنعم الله بها

١٠ - احرص على لغتك العربية حرصك على حياتك بها تعز وترقى فإذا ما استوى الإنسان مجيدا للقراءة والكتابة تفتحت أمامه أبواب الخير والسعادة والرضا النفسى .. وتحقق -

أ - كمال الإيمان بالله والرسول وبالإسلام دينا .

ب - إثبات الأدمية والإنسانية .

ج - الاتصاف بالعزة والتى استمدها من عزة الله سبحانه .

د - واكب التحضر والرقى الإنسانى .

هـ - الإسهام فى إقامة العبادات والرقى العلمى على أسس يقينية وليست
تقليدية .
و - استحقاق أن يكون خليفة الله فى الأرض عن جدارة بالعمل الصالح
لخدمة البشرية .

اذن ...
ما نحن فيه من تخلف وتدهور علمى وحضارى بيدنا لا بيد غيرنا وصدق الله
العظيم حيث قال : -
" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "
١١ - الرعد

فخرى محمد صالح
دكرنس
محافظة الدقهلية
مصر

ربيع الأول ١٤٠٩
أكتوبر ١٩٨٨

المراجع

- التفاسير
- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - التفسير العظيم لابن كثير
 - ٣ - تفسير المنار - محمد رشيد رضا
 - ٤ - تفسير النسفلى
 - ٥ - تفسير الجلالين
 - ٦ - التفسير الواضح - دكتور محمد حجازى
 - ٨ - الكشاف للزمخشري
- كتب السنة
- ٧ - صحيح البخارى
 - ٨ - صحيح مسلم
 - ٩ - سنن أبى داود
 - ١٠ - سنن الترمزى
- المعاجم
- ١١ - لسان العرب - ابن منظور
 - ١٢ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية
 - ١٣ - القاموس المحيط - الفيروزبادى
- كتب متنوعة
- ١٤ - إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى
 - ١٥ - حياة محمد - محمد حسين هيكل
 - ١٦ - الرسول فى القرآن - محمود بن شريف
 - ١٧ - الايمان والحياة . د . يوسف القرضاوى .
 - ١٨ - الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين
د . نبيل صبحى الطويل .
 - ١٩ - مشكلات فى طريق الحياة . محمد الغزالى .

- ٢٠ - تربية الإنسان المسلم حسن ملا عثمان .
- ٢١ - الرسول والعلم - د . يوسف القرضاوى .
- ٢٢ - أدب الدنيا والدين - أبو الحسن الماوردى
- ٢٣ - اشتراكية الإسلام - د . مصطفى السباعى
- ٢٤ - دور التربية فى التنمية الاجتماعية د . محمد لبيب النجيجى
- ٢٥ - القرآن وتجديد المجتمع - د . إبراهيم اللبان
- ٢٦ - الأثر فى خدمة الإسلام - أحمد حسن الباقورى
- ٢٧ - الشخصية - محمد عطية الابراشى .
- ٢٨ - التربية عند العرب - محمد فوزى الغنديل
- ٢٩ - الحياة المثلى وكيف نحققها - محمود أحمد حماد .
- ٣٠ - النفس الانسانية فى أدب الجاحظ سامى الكيانى .
- ٣١ - التربية فى الإسلام - د . أحمد فؤاد الأهوانى .
- ٣٢ - الاسلام والعصر - د . عبد العزيز كامل .
- ٣٣ - شخصية المسلم كما يصورها القرآن د . مصطفى عبد الواحد .
- ٣٤ - دراسات فى اللغة العربية د . خليل يحيى نامى .
- ٣٥ - لغتنا الجميلة والمشكلات المعاصرة فاروق شوشة .
- ٣٦ - القرآن والتفسير العصرى - د . بنت الشاطىء
- ٣٧ - كتاب الصناعتين - لأبى هلال العسكري .
- ٣٨ - فى الأدب الجاهلى - د . طه حسين .
- ٣٩ - الفن ومذاهبه فى النثر العربى - د . شريف ضيف
- ٤٠ - الاسلام ومشكلات الفكر - فتحى رضوان
- ٤١ - النثر الفنى فى القرن الرابع - د . زكى مبارك .
- ٤٢ - عالمية الإسلام - أنور الجندى .

- ٤٣ - أسرار البلاغة فى علم البيان عبد القاهر الجرجانى .
٤٤ - فقه اللغة - د . على عبد الواحد .
٤٥ - دلائل الاعجاز فى علم المعانى - الجرجانى .
٤٦ - تربية الأولاد - عبد الله ناصح علوان
٤٧ - صحيفة الأهرام اليومية
٤٨ - مجلة عالم الفكر - يناير سنة ١٩٨٣
٤٩ - مجلة الهلال .
٥٠ - مجلة الدوحة
٥١ - مجلة مستقبل التربية يناير سنة ١٩٧٣
٥٢ - مجلة الثقافة مايو سنة ١٩٧٥
٥٣ - مجلة العربى سبتمبر سنة ١٩٧٧

دوريات



الفهرس

٥ ص	فضيلة الدكتور / محمد نايل	١	تقديم
٦ ص		٢	مدخل
١١ ص		٣	القرآن الكريم واللغة العربية
٢٤ ص		٤	الأمية والامية
٣٢ ص		٥	القراءة والكتابة - لغة ومعنى
٤٣ ص		٦	كرامة الإنسان
٥٥ ص		٧	القراءة والكتابة بين فرض عين وفرض كفاية
٦٦ ص		٨	ثمار إجادة القراءة والكتابة
٧٥ ص		٩	تعليم الأولاد ومسؤولية الآباء
٨٥ ص		١٠	كلمة عن اللغة العربية
٩١ ص		١١	اجتهاد (رد)
٩٩ ص		١٢	كلمة أخيرة
١٠١ ص		١٣	دعوة الكتاب
١٠٥ ص		١٤	المراجع

رقم الإيداع : ١١٣٦٦ / ١٩٩٤م

I.S.B.N:977-00-8150-7

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٥٦٢٣٠ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٤٢٧٢١

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨